# الأميريات

من روائع

عمر بهاء الدين الأميري

اختارها

أحمد البراء بن عمر بهاء الدين الأميري

© مكتبة العبيكان، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأميري، عمر بهاء

الأميريات. / عمر بهاء الأميري. - الرياض، ١٤٣١هـ

٢٩٤ص، ١٤×٢١سم

ردمك: ٤-٩٩٣-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

١- الشعر العربي - السعودية - العصر الحديث أ. العنوان

ديوي: ٨١١,٩٥٣١ ١٤٣١/١٩٨٤

رقم الإيداع: ١٤٣١/١٩٨٤

ردمك: ٤-٩٩٣-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/٢٠١١م

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح الإفادة من هذاا لكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تمهيد

كنت أقول لوالدي -رحمه الله-: يا أبت، لا تنشر كل ما تنظم من الشعر، بل انتخب أجوده، ولك في بعض عمالقة الشعر أسوة؛ فيقول لي: إني أحب أن يعرفني الناس كما أنا، ولا أريد أن أزوّر لهم نفسي!!

**أنا لا أعرف التصنّع في شعري**

**فشعري سجيّتي حي تُطلَقْ**

كنت أقول له ذلك لاقتناعي العميق الذي لا يزال يصاحبني: أن الشعر فن (إضافة إلى أنه شعور، وفكر)، وما لم يتحقق فيه شرط (التألق) في المبنى والمعنى (أحدهما أو كليهما)؛ فليس جديرا أن ينفق الناس أوقاتهم فيه.

أقول هذا وأنا أعلم أن اختلاف الآراء والأذواق في الأدب والفن هو الأصل، وأن كثيراً من القراء قد يختلفون معي، ومع ذلك فقد أحببت أن أقدم بين يدي هذه المختارات بهذه الكلمات لأنها من أهم الأسباب التي حدت بي إلى إخراجها.

ولما ذهب إليه الوالد الشاعر -رحمه الله- مؤيدون من أئمة اللغة والأدب، أختار منه كلاماً للإمام الشاطبي -رحمه الله- في كتاب الموافقات وثيق الصلة بهذا المقام.. يقول:

«الممدوح من كلام العرب عند أرباب العربية ما كان بعيداً عن تكلف الاصطناع، ولذلك إذا اشتغل الشاعر العربي بالتنقيح اختُلِف في الأخذ عنه، فقد كان الأصمعي يعيب الحطيئة، واعتذر عن ذلك بأن قال: «وجدت شعره كله جيداً، فدلني على أنه كان يصنعه، وليس هكذا الشاعر المطبوع! إنما الشاعر المطبوع الذي يرمي بالكلام على عواهنه، جيده على رديئه». وما قاله هو الباب المنتهج، والطريق المهيع عند أهل اللسان، وعلى الجملة فالأدلة على هذا المعنى كثيرة، ومن زاول كلام العرب وقف من هذا على علم».

وأشهد أن والدي -رحمه الله- كان شاعراً مطبوعاً من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه، وقد مضى إلى ربه بعد أن عبّد للشعر الإلهي والنبوي، وشعر الأبوة والبنوة طريقاً لم تكن معروفةً من قبله!

وبعد.. فالقصائد التي وقع عليها اختياري هي في رأيي من أجمل ما خطه يراع والدي -رحمه الله-، وقراءتها تُعطي فكرة متكاملة عن شعره، وفكره، وشخصيته، وما أضافه للشعر العربي، وهذا هو أملي الأول من وضعها في متناول القراء الكرام، وأظن لو أنه كان

حياً واطلع عليها لخالفني في بعض ووافقني في بعض! وهذا مقتضى طبيعة البشر.

جعل الله شعر عمر بهاء الدين الأميري امتداداً لصالح عمله، وجمعنا به في جنات النعيم.

**أحمد البراء بن عمر بهاء الدين الأميري**

**الرياض ١٤٣٠/٦/٢١هـ - ٢٠٠٩/٦/١٤م**

# مقدمة

## سياحة في عوالم عمر بهاء الدين الأميري

### (شاعر الإنسانية المؤمنة)

بقلم الشاعر المهندس: سليم عبدالقادر

يحلق بروحه نسراً في آفاق السموات...

يجوب الأرض سائحاً في جبالها وسهولها وأودائها...

ينساب في حنايا النفس انسياب النسيم في الربيع..

يعيش صراعاً دائماً بين قبضة الطين ونفخة الروح...

يحمل في صدره كلمات الله وهمّ الكون وأعباء الحياة..

يشكّل اللغة كما يشكل الفنان البارع عجينة الصلصال...

يلوّن العالم كما يلون الرسام المبدع لوحاته..

ذلكم هو عمر بهاء الدين الأميري.. شاعر الإنسانية المؤمنة.

❁❁❁

اجتمعت لعمر بهاء الدين الأميري جميع المقومات التي جعلته واحداً من عمالقة الشعر العربي والإسلامي والإنساني، وبوأته قمة سامقة من قمم الإبداع الفني... اجتمعت له الموهبة الأصيلة النادرة، والصفات الشخصية العالية، والتصور الإسلامي الصحيح عن الله والكون والإنسان والحياة، والإيمان العميق، والثقافة المتنوعة، والمعاناة، والغربة، والتجارب، والموقف الواضح من الأدب... واجتمع له مع ذلك البديهة الحاضرة، والطرفة المرتجلة، والشخصية الآسرة بقوتها وسماحتها وبهاء طلعتها وطلاوة أحاديثها ورفعة نسبها... اجتمعت له هذه العناصر، وغيرها، التي نادراً ما تجتمع في ذات واحدة، على أكمل ما يكون التناسق والانسجام فيما بينها؛ فجاء شعره مرآة لشخصيته، وكان سلسبيلاً عذباً يتدفق من أعماق روحه، وينساب في دروب الحياة، يسقي القلوب الظامئة، فيرويها بالهدى والحب والنور...

❁❁❁

أما الموهبة، فيكفيه منها أنه نظم ديوانه الشعري الأول وهو ابن تسع سنين، وأحرقه وهو ابن اثنتي عشرة سنة.. وهو ديوان لم نقرأ منه شيئاً، إلا أنه مؤشر على الموهبة التي ظهرت في سن مبكرة، وتجلت بعد ذلك بما أبدعه من روائع الشعر...

وأما الصفات النفسية والخُلُقية التي تحلى بها، فهي تظهر واضحة في شعره: الإباء والشمم.. حب الجمال.. الذوق الرفيع..

الغيرة على النفس والدين والأمـة.. الإنسانية السامية.. البر والوفاء..

وكانت ثقافته العالية المتنوعة عنصر قوة آخر.. فقد امتزجت لديه الثاقفة العربية الإسلامية بعدد من الثقافات الأخرى، منها الفرنسية والتركية والأوردية.. وانصهرت جميعها في بوتقة موهبته، لتصدر عنه وهي تحمل بصمته الخاصة المتفردة..

ثم المعاناة.. ولا شعر بلا معاناة، معانة الحزن والفرح، والهم والأمل، والذاتي والعام.. ولقد كان للأميري من المعاناة ألوان وألـوان.. منها الصراع النفسي الدائم الإلحاح بين نداء الهدى وإغـراء الهوى.. ومنها الغربة المركّبة، غربة الشاعر بإسلامه في هـذا العصر، وغربته عن وطنه، وغربته عن أبنائه وأهله وأحبابه...

ثم هناك الموقف الواضح من الحياة.. فالأميري أولا، وقبل كل شيء، إنسان مؤمن مسلم، يعرف الغاية من الوجود، والحكمة من الابتلاء بالخير والشر، يمضي في الحياة على هدى وبصيرة.. يكابد صروف الزمان، ويعاني ألوان المحن والفتن، فما يزيغ بصره، ولا يضجر قلبه، وإنما يعود في كل مرة إلى ربه، راضياً بحكمه، مؤمناً بحكمته، يسأله العون والرشد والسداد... وبذلك كان البون شاسعاً هائلاً بينه وبين كثير من الشعراء التائهين السادرين والمتمردين، الذين ضلوا وأضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا...

وأخيراً: الموقف الأدبي الواضح.. فالأميري شاعر عربي أصيل، واضح الفكرة والأسلوب، ملتزم بموسيقا الشعر، إلا أنه في الوقت ذاته شاعر عميق المعاني بعيد الغور، شاعر أنشأ مدرسته الخاصة، في اللغة والأسلوب والتصوير.. وبذلك حفظ لشعره جماله وجلاله.. وهو شاعر فوق التصنيف، وأكبر من التصنيف.. الأميري لم يكن كلاسيكياً ولا رومانسياً ولا واقعياً ولا سريالياً.. فالأميري هو الأميري وحسب.. وهو، بذلك، لم يقطع الصلة مع القارئ، ونجا من الهوّة التي تردّى فيها شعراء الغموض.

أما الحسب والنسب، وطيب الأرومة والنّجار، فتلك منحة ربانية خالصة صانتة عن الشعور بالدونية والأحقاد الطبقية، وسائر الاضطرابات والعقد النفسية المريضة، التي نراها عند بعض الشعراء المأزومين.. وهو ما أسهم أيضاً في صونه عن الوقوع في مهاوي الهوى غير المباح...

وأما بهاء الطلعة فقد صانه عن الشعور بالنقص، الذي يصيب بعض الناس بعقد نفسية، تدفعهم للتعويض باختراع قصص خيالية عن مغامراتهم مع الغيد الحسان، مغامرات لا وجود لها إلا في خيال مخادع محروم.. على أن تلك النعمة، نعمة الطلعة البهية كانت من أكبر محن الشاعر، الذي كان محاطاً بألوان من الفتن القريبة إليه، الهاتفة به، لكن إيمانه بالله، ثم اعتداده بحسبه كانا له حصناً ومأوى وملاذاً.

شعر الأميري ومضات من نور.. ينابيع من الحب والفكر.. سبحات في آفاق الكون.. تأملات في أسرار الحياة.. في الإنسان والطير والنبات.. صراع هادر ثائر بين فورة الجسد وسمو الروح.. مزيج من الآمال والآلام.. تغلغل في أعماق النفس الإنسانية... في دروبها ومنعرجاتها.. تصوير لأدق مشاعرها وأرقّ خواطرها.. رصد لانفعالاتها الخفية خيراً وشراً..

وللأميري أسلوبه الخاص.. سهل ولكن ممتنع.. لغته أنيقة لكن قريبة.. وهي أطوع ما تكون بين يديه.. لا تكلف بها ولا اعتساف... صوره نابضة بالحياة، وليست صوراً ذهنية تعتمد المبالغة المسرفة أو الزخرفة اللفظية أو الغموض الأعمى.. خياله جموح محلق، يشخّص كل شيء تراه عيناه، ويقتنص لمحات الفكر وخواطر النفس ويجلوها في مشاهد آسرة، فعل الرسام المبدع.. صاحب نفس طويل حين يريد، وصاحب قدرة فائقة على التكثيف والتركيز حين يريد.. فهو يكتب القصيدة ذات المئة بيت أو أكثر، تأتي أبياتها كعقد اللؤلؤ، كمايعبر عن التجربة الكبيرة بخماسية تأتي كسبيكة الذهب، أو كلوحة فنية لا تقبل الزيادة ولا النقصان.

أما عوالمه فهي واسعة سعة الكون، متنوعة تنوع الحياة، جميلة جمال الربيع.. ولقد تألق وأبدع في عوالمه كلها.. في الشعر الإلهي وفي الشعر النبوي، وفي شعر الدعوة والمعاناة والصراع النفسي، وفي الشعر الإنساني، وفي شعره الأبوة والبنوة.. وله في ذلك كله

قصائد فرائد من عيون الشعر.. إن قصائد مثل: مع الله، أب، أمي، شبح الخريف، ضراعة ثائر، وغيرها.. لهي تاج في جبين الشعر الإنساني.. تلتفت وراءك فلا تجد لها مثيلاً، وتنظر أمامك فلا تجد لها مثيلاً، إلا آثاراً كريمة تركتها على لفيف من الشعراء الإسلاميين المعاصرين..

يتألق الأميري في كل ما كتب.. فهو الروح السابح في السماوات حين يناجي ربه، حتى يخيل للمرء أنه منقطع عن صخب الحياة وضوضائها، متفرغ للذكر والتسبيح بحمد الله، والتأمل في ملكوته، يدخل بين النجمة وضوئها، والوردة وعطرها، والفكر وخطراته، والقلب ونضباته.. يشخص الجمادات، ويصغي إلى لغة الطير، ويرى في السحاب ما لا نراه، من جيوش جرارة، يرقب معارك الليل والنهار، وغيرة الشمس من الوادي، ويعي ما يقوله هدير الأمواج وخرير الأنهار وحفيف الأشجار ووشوشات النسيم... في لغة بالغة الرقة والشفافية.. أما تأملاته الفكرية التي تجلت أكثر ما تجلت في الخماسيات، فإنها غالباً ما تبدأ من شبهة تخطر للنفس أو يوحي بها العصر، يطرحها الشاعر ثم يضيئها بأنوار العقل والقلب والذكر حتى يصل إلى مرفأ اليقين والرضا.

وهو الإنسان المؤمن الذي يخوض الصراع القديم الجديد بين نزعات الجسد وأشواق الروح، صراع عنيف مستبد خطير، لكنه يخرج منه منتصراً في كل مرة، بإيمانه بربه، ولجوئه إليه، والاحتماء به، ثم

بطيب نجاره، وعمق بصيرته.. قصته مع المرأة هي الصورة الأكمل والأجمل في حياة الإنسان.. إنها موضوع الجمال والفتنة.. والأميري نسيج وحده هنا.. الحب عنده ليس حباً عذرياً مجرداً، وإنما هو حب إنساني شامل، لكنه لا يستسلم للفتنة مهما اشتدت، ويخرج منتصراً ليس على المرأة، وإنما على هتاف النفس بما لا يباح.. وشتان شتان بين الأميري وبين من سقطوا في أول اختبار، وتوهموا أنهم ينهلون من مباهج الحياة.. الأميري هو أول شاعر إسلامي يكشف الستار عن هذا الصراع في نفس الإنسان المؤمن، بهذا الوضوح، وهذا العمق، وهذا الصدق، وهذا الأدب.. يتجاوز المألوف ولا يقع في المحظور، إنه كالجراح الماهر يتجول بمشرطه بين الأعصاب والأوعية الدقيقة ببراعة فائقة، ويصل إلى غاياته من غير أخطاء...

وهو حين يتحدث عن عاطفة الأبوة والبنوة تحسبه شاعراً يعيش في إسار أسرته، لا همّ له سواها، وتحس أن في صدره بحوراً من الحب والحنان... وهو هنا يتحدث على سجيته، لكنها سجية الموهبة الساحرة، والاقتدار الفني، والإنسانية النادرة.. نقرأ قصيدة أب، فنحس مشاعر الأبوة وحرارتها، ونقرأ قصيدة أمي، فتتفتح عيوننا وقلوبنا على قيمة الأم ومعناها، ونكتشف من مزاياها ما نغفل عنه في زحمة الحياة.

وتراه، حين يخوض في قضايا أمته -وخاصة قضية فلسطين- كالإعصار الهادر، أو الليث الجريح الغضوب، يتألم ويصرخ ويهيب

بأبناء الأمة إلى المجد، يعرّي الواقع ويكشف الأقنعة ويفضح الزيف، يصف الداء والدواء، ويشير إلى رؤوس البلاء فنعرفهم بسيماهم. إن قصيدة الهزيمة والفجر واحدة من عشرات القصائد النازفة بالألم، الألم الذي يلد الأمل، لا الذي يفضي إلى اليأس.

❁❁❁

كان الأميري رجلاً ملء السمع والبصر.. فهو ابن عائلة من أكرم العائلات في مدينة حلب، وهو من مؤسسي العمل الإسلامي فيها، ثم في سوريا... صاحب فكر ورؤى وحركة، وهو أحد رجالات السياسة والدبلوماسية، إذ شغل منصب وزير مفوض، ومنصب سفير لسوريا في الباكستان والسعودية.. وكان أكبر من المناصب التي تولاها، وكانت علاقاته مع الملوك والرؤساء علاقة ندية، حتى إنه كان يعتذر عن قبول بعض هداياهم التي يرسلونها إليه! ومع ما لقيه من تقدير وحفاوة حيثما حل، إلا أنه تعرض للعقوق والغمط والإقصاء في وطنه، في ظروف شاذة، وأوضاع عبثية.. ولكنه يبقى أحد الرموز الأدبية والوطنية في سوريا ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

وحين جار عليه من اضطره إلى مغادرة الوطن، فتح المغرب له ذراعيه وقلبه، فاستمر في أداء دوره الحضاري: أستاذاً في جامعاته، وشخصية فكرية وعلمية وسياسية وأدبية مهمة...

لم يتوقف الأميري عن الإبداع الشعري والعطاء الفكري، والسياحة في أقطار العالمين العربي والإسلامي: متحدثاً بارعاً، ومفكراً مجاهداً وداعياً إلى النهضة الحضارية اللائقة بخير أمة أخرجت للناس، وكأنه يسابق الزمن والأجل في تقديم عصارة قلبه وفكره لشباب أمته، وللإنسانية. ولطالما اشتكى من ضخامة الأعباء وقلة الأنصار.. يكتب ويفكر ويحمل هموم الأمة حتى وهو على أسرّة المرض في غرف العناية المركزة...

لقد ترك الأميري عشرات الدواوين ومئات القصائد التي تعطي صورة دقيقة صادقة عنه، وعن عصره.. وهي أعمال جديرة بالبقاء، لعل أهمها وأكثرها شهرة ديوانا: مع الله، وألوان طيف، وقد تركت هذه الأعمال أصداءها الكبيرة عند أهل الفكر والأدب، ولكنها لقيت العقوق من الذين سيطروا على المنابر الأدبية، وكانت لهم حساسية مرضيّة مفرطة تجاه كل أدب إسلامي وشعر عمودي، وهو أمر مفهوم في عالم السياسة، ولكنه غير مفهوم ولا مقبول في عالم الفن والأدب.. على أنه لابد من الإشارة إلى أن عشرات الدراسات، الجامعية وغير الجامعية قد قدمت عن شعر الأميري، كما قامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية بإصدار عدد خاص عنه (العدد ٦٠/١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

ونحن إذ نقدم هذه المجموعة المختارة من شعر الأميري، وفاء للشاعر الكبير، وأداء لحق الأدب والحياة، لنأمل أن تلقى ما تستحقه

من العناية والحفاوة والتقدير.. قصائد قام باختيارها الشاعر الدكتور أحمد البراء الأميري، النجل الأكبر للأستاذ عمر الأميري، وهو من أجدر الناس بهذا العمل الجليل، وأعلمهم بالقصائد الأثيرة إلى قلب الشاعر الكبير.. ويبقى حق الأميري علينا أكبر، ولكن متى كان الناس قادرين على الوفاء بحق العظماء من أهل الفكر والأدب، الذين يمنحون الحياة البهجة والمعنى والجمال؟!

**سليم عبدالقادر**

# اتئد يا إمام

المدينة المنورة في ٢٧ من ذي القعدة ١٣٧٣هـ

• ... واقتربت (المدينة)...

وأخذنا نتجه نحو مطارها...

كانت أخاديد الرمال

تتراءى للخاطر اللهفان

سطوراً

من تاريخ مجيد.

وتتلامع من بعيد

أطياف القبة الخضراء...

كنت موزعاً بين الأرض والسماء..

وكلما تدرجت الطائرة إلى الهبوط

كنت أشعر بتصاعد الشوق

إلى الرحاب الغر

حتى إذا بلغنا الثرى الطاهر

تسارع خفقان القلب...

واستعجلتُ السيارة تطوي بي الدرب

... أدركت صلاة المغرب

في ركعتها الأولى

واستغرقني خشوع الولوع

وأنا ساجد..

تمنيت أن تطول السجدة، وتطول...

ولكن الإمام الرتيب

نهض بداراً إلى الركعة الثانية...

# في الروضة الغراء

المدينة المنورة - الروضة، ٢٧ من ذي القعدة ١٣٧٣هـ

اتئد يا إمامُ؛ لا ترفعِ الرأسَ،
.. سريعاً من السجود لربي
أنا لما تنسّم الروحُ، عبرَ الأفق،
.. عَرْفَاً عن أشرف الخلق يُنبي
وتطلعتُ خاشعَاً مستهاماً،
.. بجَنانٍ مُوَلَّهٍ مشرئبِّ
فتراءت لعين قلبيَ أنوارُ
.. نبيِّ الهدى الرسولِ المربي
هام قلبي بين السماوات والأفلاك،
.. يسعى إليه من كل دربِ
ثم لما سجدتُ في الروضة الغراء،
.. أرمي عن كاهلي عبءَ ذنبي

خِلتُ قلبي ألقى النياط جذوراً،

في جِنان الهوى لغرسة حُبِّي

فاتئدْ يا إمام، لا ترفعِ الرأس

.. سريعاً؛ تكادُ تجتثّ قلبي

# سجدة روح

المدينة المنورة، في ٢٠ من رمضان

• تلبّثت بي من زيارة الروضة السنية،

نُعميات وذكريات...

كانت تعيش مع خفقات قلبي،

لحيظات الصّفاء

ولمعات التجلي

فتثير في أعماق نفسي

على تتابع السنين

مزيداً.. مزيداً.. من الحنين..

❁❁❁

وبعد أعوام طوال...

حقّق الله لي أملاً غالياً

فصمت في المدينة المنورة

أياماً من رمضان...

وصلت في مساء سعيد رائق

والليل بين داج وساج...

وقلبي...

كأنّي بقلبي تفلّت من الإهاب

وسبقني إلى الرّحاب...

دخلت، وقلبي قد طار مني!
ولكنه عاد لما دخلتُ!
دخلتُ الرحابَ، وأسلمت نفسي
إلى تلف الوجد، حتى سلمتُ!
وكان المقام العظيمُ العظيم
عليه يخيّم نورٌ وصمتُ
فطوّف بي من جلال الرسول
ذهولٌ، فهِمتُ... وهِمتُ...وهِمتُ
شعرْتُ كأنّ السماواتِ أرضي
وأني عليها بروحي سجدْتُ!

# نجاوى سجينة

المدينة المنورة، في ٢١ من رمضان ١٣٨٤هـ

تـــوزع فـكـري فـلا يـسـتـقـرُّ
على أنّ أعـمـاقَ روحـي سكينة
جلـسـت، وهـمّـيَ يـنـأى بنفسي
بـعـيـداً، وقـلـبـي يـوالـي أنـيـنـهْ
وحـولـي مـزيـج صـدى القارئـينَ
تـــلاوة وسْـــنـــانَ لا مـستبـيـنـة
وقـد رمـق الـصبحُ سـربَ الحمام
وألـقـى الـنـقـاب، وأبـــدى جبينه
فـغـيَّـب ظـلَّ الـــرواق الـسَّـنـيِّ
رويـــداً رويـــداً، وجـلـى غضونه
جلـسـت وفـي الـرأس مـن همـةِ
النفوس الكبار نجاوى سجينة

أفكر في أمر ديني وقومي
وأَدْمُعُ عَيْنَيَّ حَرّى دفينة
وطرفيَ يرنو وراء المدى
وللحبّ أنوارُ كشف مبينة...
وكنت، من الهمّ، في شردةٍ
تُلمّ برأسي طيوفٌ حزينة
كأنيَ ألمح في عاصفاتِ
العُباب تعثرَّ جَرْي السفينة
وألقي بنفسي حناناً عليها
لأوثقَها بالحبال المتينة
فيرتد للصحو بي، مفزعاً
يطير بوجهي حمام (المدينة)

❁❁❁

أيا رب، (أمتنا) قد رماها
بنوها بشدق الرزايا رهينة
بحرمة عهدك: (حقاً علينا)
وقد قلت: (كُنْتُمْ) فكانت قمينة

أجْـرهـا وأنـجـدْ، فـإن لـم تجرها

فـمَـنْـذا يُـجـيـرُ... ويُـنـجـد دينـه؟

وألـهـم بـنـيـهـا هـداهـم، وثـبـتْ

خطى سيرهمْ في دروب رصينة

وحـقّـق لـهـم صـفـةَ (الـمـؤمـنـيـن)

وضـعْ عـهـدهـم فـي رقـابٍ أمـيـنـة

وخـذ أخـذة الـقـصـم مـن رامَـهُـم

ودينَـك، بـالـبـغـي، واقـطـع وتـينـهْ

# الفجر الولود

المدينة المنورة، في ٢٢ من رمضان ١٣٨٤هـ

عالم المسلمين في المشارق... والمغارب.. فتنٌ... ومحن! يتضافر على حربه وضربه... بغي أعدائه... وبعض أبنائه... وتبقى الشعوب في أعماقها الإيمانية أبية... عصية، رغم ما تُحْمَلُ عليه، وتساق إليه... من نزاع... وضياع... وقد تحركها ردود فعل معطاء على كل انحراف يراد لها... أو ظلم يوقع بها...

وتمتزج حياة أمتي وتعتلج... في صميم حياتي، حتى في صلاتي وأنا في الرحاب النبوية الغراء...

وينبلج من قلب الظلمات... في تجلياتٍ من أملي البعيد... إشراق فجر جديد...

سجدتُ أسبّح ربّ الوجود
وأمعنت، حتى عدوتُ الوجودْ
وسِحتُ ورُحت وغِبت وأُبتُ
وما من غواشٍ ولا من قيود

وصرت كأني من الوجد كُنْهٌ
يُلِمُّ به طيفُ وَحْيي شرود
كأن هيولى الرسالات ألقتْ
عليّ سلام تجَلٍّ وَجُودْ
وأنّيَ في صحبة المصطفى
أناجيه وحدي، وما من حشودْ
فزادت طمأنينة الذاكرين
وهاج هيام اتصال السجود
ولاحت لوامع فيض سَنِيٍّ
وكان الفناءُ... وكان الشهود
وَلَفَّ المصلَّى كياني، وقدْ
كساه سنا الله أزهى برودْ
فحلقت أرهف سمعي إلى
صدىً، وردود تليها ردودْ
وأرنو، فأبصر ملء المدى
كماةً يَكِرُّون كرَّ الأسودْ
وبين التهجد في سرحةٍ
وبين انتباهي، وبين الهجودْ

أراني وقد جزْتُ طَوقَ الزمان
وألَّق ذاتي وثابٌ شرودْ
أراني يجلجل في غور عزمي
أذان يهز النفوس الرُّقودْ
ويرسلها صيحة للبدار
تدك معاقل كفر لدودْ
فتجري ملاحم لله غرٌّ..
على جندها من جهاد زُرُودْ
ويستأنف الفتحُ صولاتِه...
فيا للبروقِ... ويا للرعودْ

❁❁❁

وتصحو البرايا، فلا لا ترى
سوى النور يغمر دنيا سُعُودْ
وقد هتك الزُّور وانجابتِ
الدياجي، وخاب الظلام الكَنُودْ
وحزب (محمد) يحدو الرِّكابَ
ويركض بين القنا والبنودْ

وقــرآنــه فــي يمـيـن الـقـضـاء

يـمـد الــوجــودَ بـفـجـر ولــودْ

حـيــاة حـضــارتـهـا مــن تـقـىً

وإنــســانــهــا مــسـتـنـيـر ودودْ

❁❁❁

يــقــولــون: حُــلــمٌ، ألا إنــهــا

لـرؤيـا سـتـصـدق فـيـهـا الـوعـودْ

غــداً ســوف يـظـهـر ديــن الإلــهِ

ويُـقـهَـرُ فـي الـكـون كـيـد الـيـهـودْ

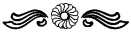

# في محراب الرسول ﷺ

المدينة المنورة، في ٢٦ من رمضان ١٣٨٤هـ

العشر الأواخر من رمضان... أيام التجلي والإشراق، سعدت بقضاء بعضها في الرحاب النبوية الغر... كنت أحرص على السبق إلى المحراب، أغسل نفسي بصلاة متأنية خاشعة أتخيل جبهتي خلالها وكأنها تلامس مكان سجود النبي عليه الصلاة والسلام فأشعر بنشوة وتجل وهيام..... ونشأتْ بيني وبين المحراب -في سجية شاعرية- عاطفة عجيبة سنية!

وأقبلت ليلة القدر فأزمعت الرحيل إلى مكة لإحيائها هناك... في بيت الله الحرام... وصليت في المحراب النبوي الطهور ركعات وداع لهفان... في عوالم من نور...

تـــأنّـــه قـلـبـيَ لـمـا ســجـدتُ

أهـيـم بـمـحـراب خـيـر الأنـــامْ

وأرســـل مـن شـفـتـيـه الـدعـاء

وجيباً، وفي السمع سجْع الحمامْ

وفـي أعـيـنـي مـن سـنـا الله بـرقٌ

يُـحَـسُّ، ولـكـنّـه لا يُـشـامْ

لـه فـي خـلايـاي دفـعٌ ورفـعٌ
إلـى شـرفـات حـمـىً لا يـرامْ
تـحـفّ بـروحـي عـوالـم وَلْـهَـى
كـأنـي بـهـا كُـوِّنـتُ مـن سـلامْ
أغـيـب، كـمـن نـام فـي نـشـوةٍ
ونـفـسـي.. عـيـون هـوىً لا تـنـامْ
وأشـعـر أن كـيـانـي تـمـدد
حـتـى تـخـطـى الـدنـى والـحُـطَـامْ
أقـولُ سـمـوتُ؟! وفـوق السمو
أقـول ثَـمِـلْـتُ؟! ومـا مـن مُـدامْ
أقـول ارتـويْـتُ؟! أجـل؛ لا ولا
وكـيـف ارتـويـت وكـلـي أُوَامْ
ألا إنـهـا نُـعْـمَـيَـاتُ الـتـجـلّـي...
هـيـام سـجـودٍ يـفـوق الـهـيـام
فـسـبـحـانـك الله مـلءَ الـوجـ
ـودِ ومـلءَ السجودِ ومـلءَ القيامْ

# في حضرة المصطفى ﷺ

المدينة المنورة، جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ

تريَّثَتْ بي شدّة وجدي عن المسارعة إلى السلام، أشْوق ما أكون إلى المقام...

كنتُ أهيم في المسجد... أصلّي... وأجول...

وأتهيب المثول، كنت أنظر من بعيد أردِّد في قلبي وأعدِّد

صيغ النجاء.. والثناء.. والدعاء

فلما وجدتُني خاشعاً في (المواجهة)، تجمد في فمي السلام... وغاب الكلام

واغرورقت عيناي... ولم تنْبِس شفتاي... وكانت (أحوال)...

سَمَوْتُ... بعد أن سهوتُ

ودنوتُ... وحيَّيت

وناجيتُ... وناجيت

وما ارتويت...

الرّوضة الغرّاء في ملمسي،

في نفسي...في أعيُني..في الضُّلوعْ

وقفتُ منها هائماً والهاً...

وقوفَ صبٍّ مستطارٍ ولوعْ

رانية... دانية كالجنى...

سناً جِنانياً يفوقُ السطوعْ

فاخْتلَجَت في حضرة المصطفى

حُشاشتي، وكاد روحي يضوعْ

وغَشيَتْني رهبة لعْثمَتْ

نطقي، وأعْشى ناظريَّ الخشوعْ

فلم أحِر، حتّى ولا دعوةً

حَرَّى، كأنّي من دعائي جزوعْ

تحيَّتي وَجْدٌ، وبثّي جَوَىً

ورُبَّ صمتٍ ترجمَته الدموعْ

قلتُ: أصلّي، فإذا السهوُ في

صحْوي، وأسترجِعُ؛ ما من رجوعْ

واخْتلطت!.. فوقْفَتي سجْدة!

وأستوي، وقد أردَدْتُ الرّكوعْ!

وغبْتُ عن ذاتي فلم أسْتبِنْ

أيْنَ أنا؟ وأيْنَ منّي الرُّبوعْ!

اللهُ... يـا الله... ردَّدْتـهـا

وكـلّ ذراتـي أُوامٌ وجُـوعْ

ولاحَ بـرْقٌ خـاطِـفٌ، يـا لـهُ

قد أوقدت في النفس منه شموعْ

وعُـدْتُ أسْـتـشْـعـرُ أنِّـي هنـا!!

لـكـنـني فـوق الـمُـنـى والـنـزوعْ

وجدتُني في حضرة.. المصطفى..

بصيرتي يقظى، وروحـي سجوعْ

# نفحة سجود

الرباط، في ٦ من ربيع الثاني ١٣٩٣هـ

كنت أصلي الصبح إماماً بأبنائي، وفي نفسي قلق حائر، وفي رأسي نقيق صداع... سجدت مغمض العينين وأطلت قليلاً، واسترسلت... فلاحَ لي في الغمضِ ومْض... وتراءت صورٌ متداخلةٌ من صلواتٍ خاشعاتٍ سبقتْ لي في الحرمين النيّرين، وتملكني شعور عجيب، كما لو كنت أصلي هناك لتوي!

وألمّ بي تعرقٌ بارد، وأحسست في كياني بخدر، ولاحت بارقة تجلٍّ وإشراق، فغمرتني طمأنينةٌ وسكينة...

شرِّقي يا رياح وجدي وزيدي
في انطلاقَيْ (تواسُعٍ) وصعودِ
خُلُدٌ أو مضت به واشرَأبَّت
سَبَحاتُ الكيان خلفَ الحُدودِ
وسجودٌ في (الروضتين) معاً هامَ
وما جَاوَزَ (الرباط) سجودي

وكأنّي وحولي الفتية الأنجاب

أحبـــاب قلبي المفؤودِ

والضياءُ الحيران في ركعاتِ

الصبح يسري كبسمةِ المولودِ

والتسابيح بين سرٍ وجهر

من أريج الزهورِ والأُغْـــرُودِ

وأنـــا والـــهُ التجلّي، أصلي

لكأنّي هناك بين الحشودِ

في (المقَامَينْ) خاشعٌ وفيوضُ...

اللهِ عمّتْ كلَّ الوَجُود بجُودِ

مرفأ القلْب، منبع الحبِّ، خيْرٌ

أزلـــيٌّ، عطاؤه مِـــنْ وَدودِ

قد غسلت الهمّ الملِمَّ وأطفأَتُ

... غليلي بـــوِرْدِهِ المـوْرودِ

فاستراحتْ روحي بأُنْسٍ، وأنْسيتُ

.. معاناة جسمي المَكْدُودِ

وتسامى الجَنانُ فوق جِنانِ..

الخلدِ، يسعى إلى مراقي الشُّهودِ

نفحةٌ مثل ومضة البرق أبْقتْ

في عيوني ندىً كطل الوُرودِ

شردت بي هنيهةً عن وجودي

وسَناها مازالَ ملءَ وُجودي

# في ضمير البحر

الهرهورة (قرب الرباط)، في ١٧ من رجب ١٣٩٣هـ

في سرحة شرود... والغروب يستثير مشاعر الغربة... تأملات في الحياة... وبث... وشكاة... وإحساس عجيب... باندماج... في عوالم بلا معالم!.. يكاد يستخرج الإنسان... من إهاب المكان والزمان... ويسمو به إلى حيادٍ عليم... تشرق عليه فيه سكينة التسليم!..

هَـــــرَبَ الـــمـــدُّ وأمـــســـى
صَـــخَـــبُ الأمـــــواجِ هـمـسـا
وتـــــراءى الـــبـــحـــرُ قـــد...
أضـــفـــى عـلـيـه الـبـون لَـبْـسـا
بـــيـــن أســـــرابِ ســـحـــابٍ
تـــغـــرسُ الآفـــــاق غـرسـا
كـتـغَـاضـيـنِ جـبـيـنِ الـدهـر
... مـــنْ نُـعـمـى وبُـؤسـى

❁❁❁

وتُشيع الشمس في

مغربها حزناً وأُنسا

وعلى الفضة في رَحْبِ

... الفضا تسكب وَرْسا

غرق اليومُ بجوف...

اليم، حتى صار أمْسَا

وتأمّلتُ... فقد أودعتُ

... بعض العمر رمْسا

وتألمت... وماذا العُمْرُ؟

...واستعليت نفسا

كلما اشتدّ أُوامي

بإمامي أتأسى...

أستقي من فيضه

أقبس منه الهَدْي قبسا

وأحيل النور راحاً

وهَيولى الوحي كأسا

ولقد أسْتَنطِق الصمت

... من التاريخ جرْسا

أتسامى جاهداً...

أستقطر الحكمة درسا

بشريات من تجليها

الرِّضا يشرق حدْسَا

فإذا بي هائمٌ

في ملكوت الصبر أنسى

غربة القلب، وما منها

... على الشاعر أقسى

وكأني من مراقي النور

... قد أحْلِلْتُ قدسا

... وتجاوزت (الأنا)

جسماً.. وتفكيراً وحِسَّا

حبستني وهلة الدَّهْشانِ

... عن ذاتي حَبْسا...

فترةً رسَّ بها الإبهام

... في ذهنيَ رسَّا

سادرٌ... لا عِيَّ أشكو

لا... ولا أملك نبسا

لا أرى مـــن أمـــــل...

يُــرجــى... ولا أعـــرف يـأسـا

كـشـــراع فـــي ضـــمِـيـــر...

الـبـحـر... لا يـقـصـد مَـرْسـى!

# أحلام نور وحضور

المدينة المنورة، جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ

في الطائرة إلى (المدينة المنورة)... سرحت بعيداً في أعماق الآفاق... أغمضت.. وأمعنت.. حتى تحررت... وانطلق بي الخيال الجوال، من الأرض وأغلاقها.. إلى السماء وإشراقها...

أخذتني سبحة وجد، ونفحة سعد.. وتطاولت نفسي في تطلع لهفان تستعجل ساعة الوصول... ونفحة المثول في مقام النور:

أغمضت، وقلبي يبصر لي
في الغيبِ معارجَ من نورِ
غُرًّا، لم أُوتَ جَدارَتها
فجرٌ، وأنا في ديْجُورِ
أملي.. لو أسعفه عملي
لسَمَوْتُ؛ ولكن مقدوري
كلا... غفرانك يا ربي
بل ذلك من محض قصوري

تـفـريـطـي سَوّل تـبـريـري
نـقـصـانُ نُـهـىً... نـفْـثُ غَـرورِ

فـأنـا الـغـفـلان عـن الـتـقـوى
وأنـــا الـمـنـسـاق إلـــى الـبُـورِ

أغـمـضْـتُ، فـأطـلـقـنـي غَمْضي
مـن أسـر الـعـيـش الـمـكْـرُورِ

ومـن الأبـعـاد بـسـطْـح الأرض
... إلـــى الإصـــعـــاد الـمـنـشـورِ

وسـمـوت، وطـائـرتـي تـجـري
فـي الـجـوِّ كـقـصـرٍ مـسْـحُـورِ

تـسـتـدنـي لـي هـدفـي وأنـا
أسـتـعـجـلُـهـا، غـيـرَ صَـبُـورِ!

أغـمـضْـتُ، فـأوصـلـنـي غَمْضي
كـالـوَمْـضِ، وبـادرْتُ عـبـوري

ودخـلْـتُ -بـأحـلامٍ يـقْـظـى-
جـنّـات الـخـيـر الـمـذخـور

ووجـيـب الـقـلـب بـخَـفْـقـتِـه
يـشـدو بـدعـاءِ مـأثـورِ

والعين ترف على صُوَرٍ
ما بين ظهورِ وضمورِ
أنا و(المحراب) على شغفٍ
وحبُورٍ، بل فوق حُبُورِ
في سجدة روحٍ والهة
في التوبة لاذت بغفورِ
و(الروضة) ترقى بجَناني
من جنّة عدنٍ في طورِ
لم أبقَ أنا... أصبحتُ سناً
ينْسابُ مع العِينِ الحورِ
صبٌّ، والوَجدُ له وَهَجٌ
في العين، كَدُرٍ منثورِ
وخلايا كنهي في طَرَبٍ
من فرط الحب المبرورِ
فالحبّ هنائي وصفائي
والحب نقائي وطَهُوري
والحب بقائي وفنائي...
العُلويّ، وبعثي ونُشُوري

وغـفـوْتُ، وقـلـبـي فـي دَأبِ...

الـيـقـظـان، يـقـدّس لـشَـكـورِ

ورعـشْـتُ... فـتـحْـتُ العـيـن فقدْ

نـادى الـرُّبـانُ مـن الـصُّـورِ

وأخـذنـا نـهـبِـطُ... وارتـجّـتْ

بـالأرضِ، كـنـسـر مـذعـورِ

وصـحـوْتُ ولـكـن كـالـمـشـدودِ

... مـن الـنّـعـمـاء، الـمـجْـرورِ

ونـهَـضْـتُ أغـادرُ طـائـرتـي

بـخـطـى الـمـأسـور الـمـأمـورِ

لـكـن تَـطَـلُّـعَ عـاطـفـتـي

والـوَجْـدُ يُـؤَجِّـجُـهـا.. يُـوري

ويُـغِـذُّ تـلـهُّـفـهـا أجـرى

سَـعـيـي بِـخُـشـوعِ وسُـدُورِ

حـتـى يـمّـمْـتُ مـقـام الـنـور

... لأسْـجُـد فـي فـلـك الـنـورِ

سـجَـدَاتٍ تـقـدحُ تـحـلـيـقـي

فـي جـوِّ نُـجُـومـي وبُـدُوري

أَدْنـــو مـا امـتـدّت مُـؤتَـلِـقـاً

وأَغـيـبُ بـأحـلامِ (حـضـورِ)

# في زحام المقام

المدينة المنورة، ١٣٩٨هـ

... وصلت (المدينة المنورة) مشبوب العاطفة... شديد الشوق إلى الزيارة الطّهور

بادرت بلهفة وإقبال... أسعى إلى الروضة الجنانية... ولكن حشود الزائرين الهائمين حالت بيني وبين المقام الأغر

...تنهدت بتعب ومشقة وأنا أتفلّت من تدافع الزحام وأسندت ظهري إلى جدار المسجد أرمق بوَجْد وغبطة ذلك المزيج البهيج من الخاشعين أمام المقام...

تقاذف جسمي زحامٌ شديدْ
وعاق مُضيّي إلى ما أريدْ
وماذا أريد سوى نهلةٍ
من النور، تَروي الفؤاد العميدْ
ونظرةِ قُربٍ تبُثُّ الهوى
بصمتٍ مُبين... ووَجْدٍ مَجيدْ

ونَشْقةِ عَرْفِ حبيب زكا
أثيرٍ لدى الله هادٍ رشيدْ
أُناجيه... أدعو... أُسلّم... أسمو
به، في معارج ذَوقٍ رغيدْ
ترنّحْتُ فوضى... يميناً... شمالاً
وواجهت سيلاً كحبّ الحَصيدْ
حشود محبين، ترتجّ... تدنو
وتنأى... وتدنو... كموجٍ عنيدْ
وسرّبْتُ جسمي من ضغطها
رويداً... رويداً... بجُهدٍ جهيدْ
وأفلتُّ، بعد عناء عصيبٍ
وصبر مُلِحّ، ودفع وئيدْ
ترفّقتُ بالناس، كالهائمين
يصدونني في اعتباطٍ بليدْ
لقد عَنفوا، دون قصدٍ ووعيٍ
ورِفْقي، مع العزم، واعٍ سديدْ
مَقامٌ له أدب واجبٌ
لِزامٌ من الدين، نهجٌ حميدْ

جـلالٌ لـه فـي خـلايـا وجـودي
خـشـوعٌ بـصـيـرٌ، وحُـبّ وطـيـدْ
فـررت بـظـهـري إلـى حـائـط...
المصلّى، وأنفاس صـدري تـزيـدْ
تـنـهّـدتُ مـلء كـيـانـي سـعـيـداً
بـمـن نـال حـظ الـدنـو الـسـعـيـدْ
وقـلـبـي؛ كـأنـي بـقـلـبـي تـخـطّـى...
الحشودَ، وحـاذى الـمقام المَشيدْ
وأشـرقـتِ الـنُّـعـمَـيَـاتُ الـغـوالـي
بـأعـمـاقـه، فـي تـنـاج فـريْـد...
وعـانـق روحـي نـور الـنـبـي
بـقـلـبٍ قـريـبٍ... وجـسـم بـعـيـدْ

# الهزيمة والفجر

الرباط، في ٢٦ من رمضان ١٣٨٧هـ

... وقعت الواقعة، وقد مُهّد لها بالفتن وبحرب اليمن وكانت الضربة والهزيمة ونكبة فلسطين أكبر من أي شعر يقال فيها...

وأطلت ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن المجيد فاحتفى بها المغرب باجتماعات ذِكْرٍ ومحافلِ شعرٍ وفكر، دعا لها صفوة من علماء الإسلام الأعلام، وأقام حزب الاستقلال مهرجاناً حاشداً، طلبت مني قصيدة ألقيها فيه، فاعتذرت لأنني لا أستطيع أن أنظم الشعر بالطلب، ولأن شعري انقطع عني منذ الهزيمة النكراء...

ولكني استيقظت ليلة القدر -وهي ليلة المهرجان- على بيت من الشعر، نظمته في تجليات النوم، وانطلقت منه قصيدة طويلة، ألقيتها مساء ذلك اليوم...

على بُـــراقٍ مـن الإشـــراق منطلقي

مـن حـومـة الـهـمّ والـــلأواء والـقـلـقِ

في مطمحي أملٌ، لم تَخْبُ جذوتُه
برحمة الله، والأعباءُ في عُنقي
أرنو إلى الله، والضرّاء تُحدِقُ بي،
ونكبة المسجد الأقصى على حَدَقي
دم الفؤاد، ودمع العين، من لَهَبٍ
ذَوْبٍ، وزفرة صدري الجمر في الحُرقِ
على منابت تاريخٍ، وأرضٍ هدىً
من الرسالاتِ ذاتِ الجذر والسَّمقِ
على (الخليل) وكم ضاءت منائرها
في المسجد الحرم الأسنى من اليققِ
على مرافع عيسى جلّ رافعه
على المراتع أضحتْ غصة الحُلُقِ
على مرابع قدس المجد، باركها
وحولَها اللهُ، وهي اليوم في الرِّبقِ
مسرى الرسول وأولى القبلتين بها
وا حرّ قلباه، ماذا للفخار بقي!
عيناي عيناي، ويل الهول صورته
في أدمعي، حيثما يمّمت من أفقِ

مالي أرى الصخرة الشمّاء في كمدٍ
تذوي، وعهدي بها مرفوعة العنقِ
ومنبرَ المسجد الأقصى يئن أسىً
قد كان يحبو الدنى من طهره الغَدَقِ
واليومَ دنّسه فُجْرٌ ألمّ به،
من بغي شعب اليهود الدّاعر الفُسَقِ
وللعذارى، العذارى المسلمات على
أعوادِه ضمّةُ المُوفي على الغرقِ
لو استطاع لألقى نفسه حُمماً
صوناً لهنّ، ودكّ الأرض من حَنَقِ
وظلّتِ الكعبةُ الغرّاءُ باكيةً
وغُمّ كل أذان غُمّة الشّرَقِ

❁❁❁

قد كابروا الله، واستعلوا على سفهٍ
منىً كواذبُ، دعوى غيرِ معتنقِ!
وأعلنوها، وما خاضوا معامعها
ولا أعدوا لها إعداد ذي حذقِ!

فكان من أمرنا ما كان من فشل
هذي جحافلُهم مهزومةُ المِزَقِ
بهم هُزمنا وما زلنا، وما اتعظتْ
عُمْيُ النفوس!! ألا إن الشقي شقي
فيا فجيعة شعب مدَّ كاهلَه
ليصعدوا منه، في أبنائه العُققِ
ويا حبائلهم لفّي الشِّباك على
أعناقهم، واخنقي الطغيان واختنقي

❁❁❁

جُرحٌ، وأعمق من صبر ومن جَلَدٍ
خَرقٌ، وأكبر من عُمْر ومن رَتَقِ
لقد نُكِبنا، وما خضنا، ولا هُزم
الأبطال في السجن، والأقطاب في الشَّنَقِ
بلى نكبنا، بما قد ناب أمتنا،
والخَطْب من قلبنا في أعمقِ العُمُقِ
لا يأسَ فالحربُ أقدارٌ ودائرة
وإنه طَبَقٌ يأتي على طَبَقِ

مكبّلون، ولكن في غدٍ نبأُ
يا نجمُ مَزِّق ظلامَ الليل وائتلقِ
لسنا نبالي، وللقرآن في دمنا
جذىً من العزم تطوي شُقَّة اللَّحَقِ
غداً سيُشرق بالإسلام طالِعُنا
رغم الصعاب، وتجلو غرة الفَلَقِ
والنصر بالصبر والإيمان مَعْقِدُهُ
والمجدُ بالعزم والإعداد والسّبَقِ

# أشواق وإشراق

الرباط، في ١١ من ربيع الأول ١٣٩٢هـ

تحية لمولد النور... ولمجد الهجرة...وفي حب سيد الكائنات... الذي سَمَا بالإنسان وغمر الوجود هداية وسلاماً، تألقت أشواق... وكان إشراق... وتخللني من هموم الأمة، وتوثبات الهمة، والعواثر والقواهر، إطراق... وإشفاق...

على جناحين من ذكرى وأشواقِ
حلّقت في سجن أعبائي وأوهاقي
وطرت، والقلب خفاقٌ، لواعِجُهُ
تعدو به ومَضَائي ملءُ أحداقي
يسري بي الشعر، من دنيا يدور بنا
دولابها، بين إرهاق وإرهاقِ
إلى عوالمَ من أمنٍ ومن دعةٍ
إلى ندى الله، من هديٍ وإشراقِ
إلى المدينة نورُ الله نورها
أفك روحي بها من أسر أغلاقِ

أحيا (بروضتها) حب الرسول على
ذكرى مضت، وهُيام خالد باقِ
محمدٍ الخير، هادي العالمين بما
أوحى به الله، من شرع وأخلاقِ

❁❁❁

عل جناحين من ذكرى وأشواقِ
حلّقتُ من سجن أعبائي وأوهاقي
وطرتُ، والقلب خفّاقٌ، لواعجه
تعدو به، ومضائي ملء أحداقي
أرنو إلى الغد، والهم الكبير له
شكوى تؤُجّ بنفسي، ذاتُ إحراقِ
ما (العيد)، والقدس في الأغلال رازحة
والمسلمات سبياتٌ لفساقِ؟!!
وأستجير برب البيت في قلقٍ
على (المدينة) من فتك وإزهاقِ
وأرسل الدعوة الحرّى، على ثقة
بالله، في صبر فذ العزم عملاقِ

فالنصر في قدر الله الحكيم على
وعد مع الصبر، في إيمان سبّاقِ

❁❁❁

على جناحين من ذكرى وأشواق
حلقت من سجن أعبائي وأوهاقي
وطرت، والقلب خفاق، لواعجه
تعدو به، ومَضَائي ملء أحداقي
حب النبي رسولِ الله، ينفحني
عزماً، ويُجري دمي نوراً بأعراقي
والشعر يعرج بي من الثرى لِذُرىً
يزاحم النجمَ فيها، مدُّ أعناقي
أطهر النفس من أدرانها بسنىً
من التقى والنّقا والوجدِ دَفّاقِ
أسمو إلى جنة الرضوان، في خَلَدي
كأن فردوسَها الأعلى بأعماقي
أرقى إلى الله، لكنْ ساجداً ولها
وليس كالساجد الولهانِ من راقِ

# مجروح الصلاة

الرباط، في ٢٦ من رجب ١٣٩٠هـ

... تمضي إسرائيل في تحديها الغاشم... ويندلع في (الأقصى) حريق... كأنه شب في قلبي تتلامع من خلال (ناره) أنوار... في يقين بعيد الأغوار...

﴿... وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ...﴾

وفي الذكرى الأولى للإسراء والمعراج بعد الحريق يقام مهرجان كبير في (جامع السنة) في الرباط، أدْعى للإسهام فيه...

صليت فجر ليلة الإسراء، وفي نفسي جراح، وفي رأسي طماح، ومع أشعة الشمس الأولى انطلقت قصيدة الذكرى:

مــلأُ الــمــلائِــكِ لَــهــفــةٌ وهُــيــامُ

تــرنو الــقــلوب هــوىً وتُــحــنــى الــهــامُ

أســرى، وسبحان الــذي أســرى به

فــذُرى الــســمــاءِ، يُــنــيــرهــا الإلــهــامُ

حَـدَثٌ تـفـرّدَ فـي الـوجـود جلالُه
وجـمـالُـه، وجـــداه، والإنـعـامُ

يا يومَ (معراجِ الرسولِ) وأنت في
كـرّ الـدهـورِ، بـدايـةٌ وسـلامُ

عـذراً إذا خـنـق الـبـكـاء تحيتي
لـك، والأبِـيُّ على الـبـكـاء يـلامُ

لـكـنـه (الأقـصـى) وفـي نكباته
وحـريـقـه، حَـبْـسُ الـدمـوعِ حـرامُ

دمـعُ الأبـيّ الـحـرِّ بعضُ جهادِه
وزفـيـرُه عـنـد الـوغـى إقـدامُ

ولـرب يوم في الدنى، تعنو الدنى
لِـفَـخـاره، وتـمـجّـدُ الأعـوامُ

وتـمـرّ فـي حَـلْـق الـزمـانِ مـريـرةً
ذكـراه، وهـو على الـزمـان إمـامُ

ولـرب حُـرٍّ فـي صـمـيـم فـؤاده
نعمى السكينة، والـفـؤاد ضـرامُ

❁❁❁

يا ربِّ، مجروح الصلاة، تَشُت بي

عن بيت (مكة) قبلتي، آلامُ!

في عين إيماني قذىً وأذىً، وفي

قلب السكينة للهموم عُرامُ

(فالقدس) نار محاجري ومشاعري

هولٌ يغول هناءتي وحِمامُ

هل تطمئنّ بي الصلاةُ وقِبْلتي

الأولى يدنسها خنىً وأثامُ!!

يا أمة المجد العريق إجابة

هل يستقيم لمسلم إسلامُ؟

و(المسجد الأقصى) يُحَّرق عنوة

وذوو البلاء، عن البلاء نيامُ

متجبرون؛ وإنه استئثارهم

وهوانهم، والبغي والإحجامُ

أغرى (اليهودَ) بنا، وأمكن كيدَهم

منا، فعدنا والبلاد حُطامُ!

حتَّامَ نصبر، والنوائبُ جمة

تترى؟ أليس لجرحنا إيلامُ!

يا أمة المجد الغريق، توثبي

فالنصرُ حقكِ، والجهاد لزامُ

تدعوك للجُلَّى، استغاثة كاعبٍ

عذراءَ، تُسبى والصلاة تقامُ!

وإهابةٌ، أمّ الشهيدِ شَدتْ بها

زغرودة، دمه لها أنغامُ...

جرح الهزيمة ظالم متفاقمٌ

أما الجهاد، فجرحه بسّامُ

# ولدي...

جبل الأربعين - سورية، ١٣٨٠هـ

كان حريصاً على تنشئة أبنائه، مُثلاً عالية سامية في الدين.. والعلم... والأدب... كان يريدهم متعاطفين متآلفين... متعاونين متكاتفين...

وكان ينفق من جهده ووقته معهم الكثير.. يصفو.. ويسعد بهم... يهديهم.. ويربيهم...

وقد تسوؤه منهم -أحياناً- نَبَوات.. ونزوات.. فيعاتبهم ويعظهم حتى إذا قصروا.. وكرروا.. وتشاجروا.. وتنافروا.. عمد إلى تأديبهم ليثوبوا.. لا تمنعه عاطفته أن يشتد.. ولا يقطعه ذلك عن دوام الدعاء.. والرجاء..:

ولـــــدي؛ وآمـــالـــي بـكـم
تـحـبـوكـم أســمـى نـعـوتْ
لا تـجـعـلـوهـا واهـيـاتٍ
مـثـلَ بـيـت الـعـنـكـبـوتْ

شـــــردتْ بـكـم نـــــزواتُ
أنـفـسـكـم، وأمـــزجـــةٌ شَـتـوتْ
ورمـــيـــتـــم حـــبـــاتِ قـلـبـي
فـــي رحـــــى نـــــزق عَـــنـــوتْ
فـــالـــعـــمـــر.. مـــن لأواء
حُـبّـيـكُـمْ، وجَـــوركُـــم، يـفـوتْ
تـــحـــيَـــونَ بـــي، وأنـــــا بـكـم
فـــي كـــل شـــــاردة أمـــــوتْ

❁❁❁

ولـــدي؛ فـثـوبـوا واسـتـبـيـنـوا
الـرشـد، والـتـزمـوا الـقـنـوتْ
أرضـــــى فـــأدعـــو جـــأرة
لـكـم، ومـوجـدتـي صـمـوتْ
وأنـــا عـلـى الـحـالـيـن أدعـــو
فـي الـكـلام وفـــي الـسـكـوتْ

# عفو الأبد..

حلب، ١٣٨٤هـ

كان لفقد أمه في قلبه لوعة لا تهدأ...

كان يكابد عزوف أبناء البلاد... عن صادق الجهاد... والفتن... تأخذ بخناق الوطن...

ترقب -وهو في رونه وشجونه- أن يبادر إليه، محب.. قوي أمين.. من أبنائه الراشدين.. يبلسم الجراح.. ويعين على العبء الرَّازح...

ولكنه رأى تخلفاً.. وتكلفاً!! فسقطت في نظره الحياة.. وزفر زفرة الأباة.. معلناً بترفع ومرارة عتبه.. وعفوه.. وإيثاره..

اذهبوا في شأنكم يا ولدي

ودعوني.. غارقاً في كمدي

أنتمُ.. تبغون غنماً لكمُ

وأنا أبذل فيكم كبدي

خطوكم في عابر من حاجتي
فيه منُ البَرِمِ المتئدِ
أثري في يومكم أني لكم
عُدّةٌ لازمة في العددِ
ولقد يثقل ظلي بينكم
ولقد يلطف ظلي في غدِ
في غدٍ يذكرني منصفكم
عبثاً في لوعة المفتقد

❁❁❁

ولدي؛ يسألني سائلكم
وهو أدرى بالذي في خلدي
يا أبي.. أذهبُ في أمريَ.. أم
ثَمّ ما تحتاج فيه مددي؟
أنا لا أطلب منكم مدداً!
حسب مثلي ربُّه من سندِ
والذي يصدر عن محض الهوى
يبذل النفس رضا؛ ياولدي

اذهـبـوا؛ إن لـكـم مـن والـد،

لـم يـوفَّ الـحـق، عـفـوَ الأبـدِ

أسـأل الله لـكـم فيض الـنـدى

ولـنـفـسـي راحـة الـرمـس الـنـدي

لـم تـعـد تـبـهـجـني الـدنـيـا.. وقـد

قُـبـضـت أمـي.. وأكـدى بـلـدي

❁❁❁

جـوهـري مـتـقـدٌ.. لـكـنـه

يـتـلاشـى.. بـدداً فـي بـددِ

ويـدي -والـفـضـل فـي بسطتها-

كـلـمـا امـتـدتْ يـدي، غَـلَّ يـدي

قـدرٌ.. أغـلـبُ مـن مـقـدرتـي

ولـيـالٍ حـبـلُـهـا مـن مـسـدِ

قـدر فـي الـخـلـق، والـخـالـق لا

يـرتـضـي لـلـنـاس غـيـرَ الـرَشَـدِ

❁❁❁

ولـــدي؛ مـا دمـعـةٌ يـذرفُـهـا

ولـــدٌ فـي والـــدٍ مُـلـتـحـدِ

حـوّلـوا الأدمـــعَ رُشـــداً وتـقـىً

وابـتـغـوا مسلككم فـي الـجَـددِ

# على شبك العينين

سبتة - المغرب، ١٣٨٥هـ

دعي إلى أمسية شعرية في (تطوان).. و(سبتة) على بعد نصف ساعة منها.. فأحب أن يزور أسواقها..

ذهب إليها مع أخ (صالح)...ولكنهما وجداها مغلقة... ليوم عيد إسباني...

كانت شبه الجزيرة السليبة، في رونق العيد... وقد أخذ بناتها زينتهن وتمشين سارحات، أسراباً.. أسراباً..

جلس أمام النافورة في مقهى الساحة الكبرى... كان ساهماً... واجماً، يستعرض في فكره أمجاد (سبتة) الإسلامية حيناً... ويطير من المغرب إلى المشرق.. أحياناً.. يتذكر بلاده.. وجهاده.. وأولاده...

قال له صديقه وهو يجاوره ويحاوره: مالي أراك ساكتاً حزيناً، وهذه (سبتة) تضحك لك مياهها.. وتستقبلك وتقبل عليك.. بعيدها.. وغيدها...

يا غيدَ (سبتة) ماذا العيدُ والغيدُ

والتسع من حب قلبي دونَهم بيدُ

تجري على شبك العينين سيرتُهم
تترى (كفيلم) له رَجع وترديدُ
وللخيال حياةٌ بينهم وهوىً
وللحنين مع الأنفاس تنهيدُ
أطوي وأنشر أزماناً وأمكنة
وأستعيد عهوداً كلّها عيدُ
ونحن نجوى، جرت ما بيننا مُلحٌ
في حلقة، واشرأب اللحظ والجيدُ
ما أبعد الأمس عن يومي وأقربه
لحن شجي له في النفس تغريدُ
ترنّ في أُذُنَيْ وجدي ومرحمتي
بذكرياتيَ من (بابا) أناشيدُ
يا ويح (بابا) نأى (بابا) ولازمه
من هم تسعته الأحبابِ تسهيدُ
وهمُّ أمته في قلب غربته
رحىً تدور، ولا يَثنيه تفنيدُ
على ذرى الشهب من غرس الطموح جنىً
وفي كروم المنى تزهو عناقيدُ

وللرسالة في عزمي مناشدة
ومـــلءُ نفسي أحـــلام أماليدُ

❁❁❁

يا دهر شَتَّتَنا مجد له قدرٌ
وبعثر العمرَ تنكيدٌ وتشريدُ
يا دهر هل في غد الآمال مجمعة
يا دهر أم في غد الآجال تبديدُ!
سلمتُ تسليم أواه له دأبٌ
في سعيه، وإلى الله المقاليدُ

# مع الفجر

قد جلا الليل عن الكون

... مع الفجر وغابا

ودعا الداعي إلى الله

... فكن فيمن أجابا

قم توضأ فصلاة

الصبح تغذوك شبابا

تركَ الليلُ على

جفنيك دِبْقاً مستطابا

فاغسل العينين في ماء

... التقى، واغنم ثوابا

# شعور

قرنايل، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م

قال لي صاحبي يفنّد شعري:

إن شعري كالنّثر سهلٌ مُرَقْرقْ

سبْكُهُ ضامِر اللحون جَديبٌ

واصطفاء الألفاظ غير مُوفّقْ

قالها في لباقة واعتذار

قلْتُ (عبدَ الكريم) ويْكَ تَرَفّقْ

ليس شعري لفظاً وسَبْكاً وجَرْساً

بل شعوراً فيه التعابير تَغْرَقْ

خفقةٌ من حُشاشة القلب حرّى

كيف يا صاحبي الوَجِيبُ يُزَوّقْ

زفرات ولوعة ونَشِيج

كيف يا صاحبي النحيب ينمّقْ

كيف أختار نبْرتي حين أضحك

كيف أختار أنّتي حين أشهقْ

أنا لا أعرف التصنع في شعري

فشعري سَجيّتي حين تُطلَقْ

كلما ساقني إلى الصعب عزمي

بَسَمَ المجد في فمي وتألّقْ

كلما شاقني من الدهر صنع

قهقه البشر ملء شِعْري وصفّقْ

كلما عاقني عن الخير شر

أرعد السّخْط في كلامي وأبْرقْ

كلما راقني جمال بديع

لَمَعَ الحُسْنُ في بياني وأشرقْ

كلما رَابَني من الناس أمر

حزِنَ الحقّ في مقالي وأشفقْ

كلما ساءني بقومي خطب

وَجَمَ الهَمّ في قَريضِي وأطْرَقْ

كلما هاجني من الشوق لحن

حوّمَ الوَجْدُ في نشيدي وحلّقْ

كلما مرّ بي نعيم وبؤسٌ

في مرايا القصيد حسّي تفتّقْ

كيف لي باختيار لفظ مُنَمّق

كيف لي باصطناع لحن مزوّقْ

وشعوري ينساب فيضاً غزيراً

من أحاسيس خِلْقَتي يتدفّق

كُل حِس قد صيغ لفظاً ومعنى

دون قصد مني، ولاحَ برونق

هل لزهر الرُّبى اصطفاء شذاه

كل زهر كما تكوّن يَعْبَقْ

واللحون التي تروق وتُشْجِي

كالنفوس التي تُحِب وتعشقْ

هي ذوق، والذوق سِرٌ عجاب

من قيود التّفْنيد والرأي مطلقْ

ونشيد الصفاء في الكرب يَنْبو

ونَشِيجُ الشّقاء في الأنْس يصعقْ

فإذا رُمْتَ أن تُحلِّق في أجواءِ

.. كنهي، أغْرق كما هو أغْرَقْ

وتَمَعّن، يا صاحبي، وتأمّل

وحي شَدْوي وسِرّه، وتذوّقْ

وتقبّل شِعْري كما جاء، وابْسِم
ما تغنّى، وإن بكى فَتَحَرّقْ

وانسجم في شعوره وتمازج
وتَخَمّر في روحه و(تعتّقْ)

والتمِس في وجيب قلبك همّي
وبعينيكَ سُهْدَ جَفْني المُؤرّقْ

وتلبّس نفْسي تَرَ اللحن أشجى
وانتقاء الألفاظ أهدى وأوفق

وعسى أن تكون بي وبشعري
وشعوري إذ ذاك أندى وأرفقْ

❁❁❁

إن روحاً يدور في فَلَك الذات،
.. سيبقى، مهما تسامى، كزئبقْ

فإذا ما حنا على كل روح
وتدانى، بِكُلِّ روح تَوثّقْ

# أب

قرنايل، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م

كنت مع أولادي الثمانية، وأسرتي، في مصيف (قرنايل). ثم سافروا جميعاً إلى (حلب)، وتلبّثتُ وحدي في خلوة شعرية:

أيـن الضجيج العذب والشغبُ؟
أيـن التدارس، شابَهُ اللعبُ؟
أيـن الطفولة في توقّدها
أين الدّمى، في الأرض، والكُتُبُ
أيـن التشاكس دونما غرضٍ
أيـن التشاكي ماله سببُ
أيـن التباكي والتضاحك، في
وقتٍ معاً، والحُزن الطربُ
أيـن التسابق في مجاورتي
شغفاً، إذا أكلوا وإن شربوا

يتزاحمون على مجالستي
والقربِ مني حيثما انقلبوا
يتوجّهونَ بِسوْقِ فِطْرتهم
نحوي، إذا رَهِبُوا وإن رَغِبُوا
فنشيدهم: (بابا) إذا فرحوا
ووعيدُهم: (بابا) إذا غضبوا
وهتافهم: (بابا) إذا ابتعدوا
ونَجِيّهُم: (بابا) إذا اقتربوا

❁❁❁

بالأمس كانوا مِلء منزلنا
واليوم، ويح اليوم، قدْ ذهَبُوا
وكأنما الصمت الذي هبطت
أثقالُه في الدار إذ غربوا
إغْفاءةُ المَحْمُوم، هَدْأتُهَا
فيها يشيعُ الهمُّ والتعبُ
ذهبوا، أجل ذهبوا، ومَسْكَنُهُم
في القلب، ما شطّوا وما قَرُبُوا

إنـــي أراهـــم أينـمـا الـتـفـتـتْ

نفسي، وقـد سكنوا، وقـد وثبوا

وأحِـس فـي خَـلَـدي تـلاعُـبَـهُـم

فـي الـدار، ليس ينالهم نصبُ

وبـريـقَ أعـيـنـهـم، إذا ظـفـروا

ودمـــوع حـرقـتـهـم، إذا غُـلـبـوا

فـــي كـــل ركـــن مـنـهـمُ أثـــر

وبـكـل زاويـــة لـهـم صَـخَـبُ

في الـنـافـذات، زُجَـاجَـهـا حَـطَـمُـوا

في الحائط المدهون، قد ثَقَبُوا

في الـبـاب، قـد كسـروا مـزالِـجَـه،

وعـلـيـه قـد رسـمـوا وقـد كتبوا

في الصّحن، فيه بعضُ ما أكلوا

فـي علبة الحلوى الـتـي نَـهَـبُـوا

فـي الشّطْر مـن تفاحة قضموا

فـي فَضْـلَـة الـمـاء الـتـي سَـكَـبُـوا

إنـــي أراهـــم حـيـثـمـا اتّـجـهـتْ

عـيـنـي، كـأسـراب الـقـطـا، سَـرَبُـوا

بالأمس في (قرْنايلٍ) نزلوا
واليوم قد ضمّتهُمُ (حلبُ)

❁❁❁

دمعي الذي كتّمْتُهُ جَلَداً
لمّا تباكوا عندما ركبوا
حتى إذا ساروا وقد نزعوا
من أضلعي قلباً بهم يَجِبُ
ألْفَيْتُنِي كالطفل عاطفةً
فإذا به كالغيث ينسكبُ
قد يعجَبُ العُذّال من رجلٍ
يبكي، ولو لم أبْكِ فالعجبُ
هيهاتَ ما كُل البُكا خَوَرٌ
إنّي، وبي عزمُ الرجال، أبُ

# شكاة

الرياض، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م

أخي في الله والأدب أبا الحسن... قصدت (الرياض) بعد زيارة باكستان والمشاركة في (الندوة العالميّة للإسلاميات)، لأزور جلالة الملك، مودعا، بعد انتهاء مهمّتي، سفيراً للجمهورية السوريّة في بلاده العزيزة.

كانت نفسي تجيش بالآمال والآلام، وقد تجسّم لي في (النّدوة) ما كنت أشعر به دائما، من قوة الإسلام الهائلة، وإمكانات المسلمين الضائعة في غمرة من صعوبة العمل، وحيرة العاملين، بين ضعف القادة، وكيد الكائدين.

وكانت وحدة (مصر) و(الشام) تسير خلال ذلك في خطوات أعجل من سير الفكر!

وكانت السماء تجود على أصقاع الجزيرة بالغيث المدرار.

وكانت الأخبار تتوارد عن أحداث الجزائر الدامية.

كنتُ مشوقاً إليك، أؤمل أن ألقاك وأبثّك شوارد الخاطر، وأستجلي بحنكتك وإخلاصك غوامض الرأي، والتباس السبل؛ فلم أجدك في الرياض وعلمت أنك غادرتها إلى جدة.

وأعلِنت الوحدة ...

وفي جناني قصيدة تمليها كل تلك المعاني: نجوى روحٍ لروح، والتماس طبٍ لجروح، وقد جاءت عفو الخاطر، فيها أثر من الأجواء المحيطة بها، وهأنذا أقدّمها إليك، داعياً الله العلي القدير، للبلاد ولك وللمسلمين بالفرج والعزّة، والتأييد والهداية؛ إنه من وراء القصد.

الرياض، ١٦ رجب ١٣٧٧هـ

(أبا حسن) قد أتيتُ (الرياض)
مَشوقاً إلى روضك الزاهرِ
إلى قلبك المستنير الكبير
إلى روحك المشرق الناضرِ
إلى النُّبْل يزكو أريجاً بهيجاً
وينضح من خيمك العاطرِ
إلى نفس حرٍّ حباها الإله
سجايا من الخُلُق الباهرِ
أتيتُ الرياضَ مشُوقاً إليكَ
أبيَّ الهوى، شارد الخاطرِ
أؤَمِل عِنْدكَ رأياً لُباباً
ينير المَحَجّة لِلحائِرِ

فقيل: مضى مُتْبِعاً حظَّهُ

(الحجاز) فقلت: (على الطائرِ)

وأسْعدَني أن تسيرَ الحُظوظ

أمامَكَ كالمَثَل السّائرِ

بشارات خير تَزُفُّ الرَّجاءَ

نديّاً مع الوابل الماطرِ

تُلِينُ لعزمِكَ صعب الأمور

فتظفر بالمطلب القاهرِ

ولم أتَمَلْمَلْ وسُقْتُ الدعاء

بفوزكَ للناصر القادرِ

وأمّلْتُ لُقْياكَ في (جدة)

وما كان جدّي بالماثرِ

❁❁❁

(أبا حسن) قد رماني الزمان

من الأمر في مُبهِمٍ مغلقِ

عصاني الحِجى في اختيار السبيل

إلى نَيْل مطلبيَ المرهقِ

فقومي، وأعظِمْ بِهِمْ أمَّة،
أرُومَتُها للعُلى ترتقي
تفجّرَ في دمِهِمْ مجدُها
فثاروا على الخطر المُحْدِقِ
وقد مَلَكَ الأمْرَ منهم رجالٌ
يُخالِف منطقهم منطِقي
لنا أرَب في العُلى واحِدُ
ومَوْثِقُهُم في الوغى مَوْثِقِي
ولكنّهُم ركِبوا مَسْلكاً
يحِيد عن الجَدَدِ المشرقِ
نَأوْا عن هدى الله في نَهْجِهِمْ
وساروا.. وسرتُ.. فلم نلتقِ
أريد بإيمان قلب جسور
وعقلٍ غيورٍ وقصدٍ نقي
رجوعاً بهم لسواء السبيل
حياداً عن الغرب والمشرقِ
فإني أراهم بعين البصيرة
من قلق الوضع كالزئبقِ

فكن يا (أبا حسن) مُسعفي
نذود النّوازلَ أو نَتّقي

❁❁❁

ضَمَمْتُ الجَنَاحَ عَلى خَافقٍ
بحبِّ بلادي وقومي وجَبْ
وَغَادَرْتُ مِثْلَ فِراخِ الحَمَامِ
صغاراً يُناغُونَني في (حلبْ)
وسِرتُ، ابتغاء رضا الله، أطلبُ
عزّ الجهادِ، ونعمَ الطلبْ
وما في حياتي من مَطْمَعٍ
لنفسي، فلا رغبٌ أو رهبْ
غنيٌّ عن الخلق بالله لا
أفكر في نَشَبٍ أو رُتَبْ
إذا ما توخّيْتُ رفْقاً وصبراً
فذلك من خشية المُنقَلَبْ
فريْتُ المُثابِر أمضى خُطَىً
وأبلغُ من قفزاتِ الصّخَبْ

وكانت أناةُ الفتى في التقدّم
أهدى وأجدى لنيل الأرَبْ
ومستعجلُ الشيئ قبل الأوانِ
يُصيب الخَسَارَ وَيَجني النَّصَبْ
فما حيلتي وغثاءُ السياسة
قد غالبَ الرأي حتى غَلَبْ
و(حزبية) الحكم باتت تُسيِّرُ
أمْرَ البلاد الذي قد حَزَبْ
حمى اللهُ مِن شرِّها وَحْدَةً
نريد بها جمع شمل العَرَبْ

❁❁❁

(أبا حسن) أنا في غربةٍ
على أنّني في صميم الوطنْ
غريب المنى مُستَحِرُّ الظّنى
رهين العنا في نِطاق الزمن
أريدُ، وما لي أحدِّث عَمّا
أريد، وَمَنْذا يعي القول مَن!؟

وجـلُّ الـورى فـي خِضـمِّ الحياة
أسـارى الـهـوى فـي صـراعِ الفِتَنْ
وفـي المطلب الصعب جلَّ المسير
وقـلّ الـنـصـيـر وعـزّ الـسـكـن
طِـلابُ المعالي عَسِير المَنَال
وقـد عُـوِّد الـحـرُّ أن يُمتحن
تـفـرّقَ بـالـقـوم حـكّـامُـهـم
وزاغـت قـلـوب غَـذَتْـهـا الإحَـنْ
ومـاعـت مـن الـتّـرف المُستذل
نـفـوس ضـعـاف دهـاهـا الـوَهـنْ
وفـي وحـدة الـقـوم خـيـر وفـيـر
ومـجـدٌ جـديـرٌ بـأغـلـى ثـمـنْ
لـقـد أعـلـنـوهـا، ولـكـنـنـي
أكـاد أرى غـيـر مـا قـد عَـلَـنْ!
أريـد بـنـاةَ حـمـاةَ لـهـا
إذا قَـلَـبَ الـدّهـرُ ظـهـرَ المِجَنْ
فـمـن لـي بـإنـشـاء جـيـلٍ أبـيٍّ
تَـقِـيٍ قـويٍ يَـصُـدُّ الـمِـحَـنْ

❁❁❁

(أبـــا حســـن) يـــا كـــريـــم الـنِّـجـاد

ألـسْـتَ تـرى سـوء حـال الـبـلادْ

ألـســتَ تــرى الـحـقّ فـي مــأزقٍ

وقــد فــرّق الـبـغـي بـيـن الـعـبـادْ

فَـصَـرعـى الـغِـنـى فـي لَـذاذاتِـهِـمْ

وصـرعـى الـخَـصَـاصَـة أسـرى سُـهَـادْ

ورهــطُ الـحـكـومـات قـد جَـانَـبُـوا

هُـداهُـم وضـلّـوا صـراط الـسـدادْ

لـقـد أركـبَـتْـهُـم سـيـاسـاتُـهُـم

مـراكـب تـجـري بـوحـي الـعـنـاد

فـبـعـضٌ تـظـاهـر فـي غـيّـهِ

وبـعـضٌ تـسـتّـر خـلـف الـحِـيـادْ

نسُـوْا واجِـب الـخـلْـقِ واسـتـكـبَـرُوا

فَـعَـمَّ الـبـلاءُ وَطَـمَّ الـفـسـاد

فـكـيـف الـنّـجـاةُ وكـيـف الـحـيـاة

وكــلٌ لــه فــي هــواه اجـتـهـادْ

وكــلٌ يـريـد اسـتـيـاق الـقـطـيـع

إلــى مـبـتـغـاه، وبـئـس الـمـراد

فـهَـلاً ابـتـدرنـا إلـى نـجْـدة
وهـلاً اسـتـجبْـنـا لـداعـي الـجـهـادْ
فـإمـا حـيـاةُ الـهـدى والإبـاء
وإمـا الـشـهـادة يـوم الـجِـلادْ

❁❁❁

(أبـا حسـن) أرهِـفِ الـحِسّ مِـنْ
ضـمِـيـرِكَ، واسـمـع نـداء الـبِطـاحْ
تَـمَـازَجَ فـيـه هـتـاف الـثّـكـالـى:
إلـى الـثـأر، حـلّ مـحـلّ الـنّـواحْ
وصـوت الـمـؤذن: (الله أكـبـر)
يـحـدو الـجُـمُـوع، ويـشـفـي الـجِـراحْ
وزمْـجَـرَةُ الـبَـأسِ مـن فـتـيـة
لـقـوا الله زحـفـاً بـأمـضـى سـلاحْ
تـلافَـوا بِـعَـزْمَـةِ إيـمـانِـهِـم
هُـزال الـسِّـلاح وخـاضـوا الـكـفـاحْ
نِـدَاءُ بِـطـاحِ (الـجـزائـر) هـذا
تَـئِـنُّ وتـزأر مـنـه الـريـاحْ

شباب (الجزائر) يُسْتَشهَدُون،
وللمجد حق، وللنصر ساحْ
وأبناءُ أعمامهم ينعمون
بِصفو الحياة وأنْسِ المِلاحْ
أيبذل قوم زكيَّ الدماء
وبذل الدماء سبيل الفلاحْ
وأمْثَلُنَا يَبذل الفضْلَ مِنْ
نَداهُ، ويدعو لهم بالنجاحْ!
ألا يا مروءاتُ فاسْتنفِري
ذويكِ وهُزّي القنا والرماح
حرامٌ على الحُرِّ طِيْبُ الرقاد
وليس المباح، الغَدَاةَ، مُباحْ!

❁❁❁

(أبا حسن) قد أطلْتُ الشكاة
ولا غرْوَ، فالخطب خَطب جَلَلْ
وما بالشكاة تُلاقى الخطوب
ولكنّها صُحبةٌ تُهْتَبَلْ

فبَثُّ الشَّكاةِ إلى ذي المُروءةِ
يُسعفُ في شَحْذِ روح الأمَلْ
يُداري الهُموم وَيَشْفي الكُلُوم
ويُرْوي الصّدى ويُريحُ المُقَلْ
(أبا حسن) لستُ في مِرْيَةٍ
من العزم، لكنني في وجلْ
قد استعجل القومُ ما استعجلوا
وقى الله خطوَهُمْ من زلَلْ
وما الأمر من شأنِهم وحدهُم
ولكنه شأن خير المِلَلْ
وما (وحدة) العُرْبِ شَأوٌ يسيرٌ
ولكنّه بَعْثُ نجم أفَلْ
أرى الدّهر قد جدّ في أمرنا
فيا ويل تدبيرنا إن هزلْ
إذا اخْتلّ شيئاً بناءُ الأساسِ
تضاعف في الصرح ذاك الخلل
فلا بُدّ مِن رَأبِ كُلِّ الصُّدُوع
وجمْعِ الصّفوفِ ودرء العِلَلْ

ولا بـدّ مـن قصـدِ ذاتِ الإلـه
وحشـد الـقـوى لـيـصِـحّ الـعـمـلْ

# كرامة

حلب، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م

عام يمر على مغادرتي السلك السياسي، لخلاف في المبادئ مع الحاكمين. وحدي في (جبل الأربعين) شهراً من الخريف.

أعود إلى (حلب)، وقد تشكلت وزارة جديدة، فيها أخ كريم حميم. تسألني (رصينة) أختي: كيف أقضي الأيام وماذا سأعمل...؟!.

وتشير أمي، رغم إبائها، بأن أكتب إلى الأخ الوزير، تذكيراً بنفسي!

وكنت في هموم أترقّب طفلي التاسع، وأرقب بمرارة، اضطراب سياسة الحكم في البلاد:

جـــــاوزتُ ســـن الأربـعـيـــن
يـــا نـفـــس هـــلا تـــرْعـويـــنْ؟
ضـــيّـعـتُ عـهـد صـبـاي هـمّـاً
فـــي الـحـنـيـن وفـــي الأنـــيـــنْ!

تُشكى النفوس وتُجتوى
من سيرها فيما يشينْ
أما أنا فشكوت نفسي
من قناة لا تلينْ
قد أرهقتني بالعُلى
فعسى أكون بها القمينْ

❁❁❁

أنا لا أبرِّئها، ولكنّي
.. أحاذرُ ما يُهينْ
أما الجمال فما له عن
أعيُني من حاجِزينْ
لَمَمُ الهوى، المعْفوُّ عنه
.. وفي العيون له مَعينْ
ذاتَ الصِّبا والحُسن يا
أخْتَ السّنا والياسَمينْ
إني لأفهم من لحَاظِكِ
في الحشا ما تكتُمينْ

وأرى بنهْديْك اللذين
توثّبا في الواثبينْ
من سرِّ قلبك والصَّبابة
ما حَجبت عن الخَدينْ
أرنو إليكِ كما رنوْتِ
وأشتهي ما تشتهينْ
لكنني لا أستكين
لِنزْوَتي، لا أستكينْ
زجر النفوس عن التّمادي
.. في الهوى طبع متينْ
لي في مضاء العزم صبرٌ
إنه كنز ثمينْ

❁❁❁

أختي (رصينةُ) قد سألتِ
عن الذي لا تجهلين:
عمّا أزاولُهُ وأحْيا
فيهِ؟ هلاَّ تعلمين!؟

في غمرة العُمُر المبَدَّد

.. في التوافه يا (رصينْ)

أحيا بظلِّ كفاءتي

وملاءَتي كالمُمْلِقينْ

أحيا غني النفس في

شَمَمِ الأباةِ المُعوزِينْ

ولعلّ ذا ما أستحق،

ونِعمَ أجْرُ العاملينْ!!

أو أنّ لي (رجعيّةً)

أدْعى بها في (الجامِدينْ)!

مُثُلٌ أدين بها، ومِثْلي،

.. لا ينوء بما يدينْ

مُثُلٌ من الخلُق القويم

ومبْدَأ حُرٌ وَدينْ

لِمَ لا أماجِنُ أو أخادِن

.. أو أداهِنُ أو أمينْ

لم لا أكون معربِداً

متردياً في العابثينْ؟!

هـــذا جـــزائـــي بَـــلْ جَـــزاءُ
.. الـثـابـتـيـن الـسـابـقـيـنْ!
الـصـــادقـــيـــن عُـــهُـــودَهُـــم
الـمُـخْـلِـصِـيـن الـنـاصـحـيـنْ!!

❁❁❁

أخـــتـــاه؛ قـد صـــارت مـبـادئ
.. مِـثْـلِـنـا فـي الـغـابـريـنْ
وتـطـلّـبَـتْ روح (الـتّـجَـدّد)
نَـبْـذَ سـيـر الـسـالـفـيـنْ!
(شـيـم الأواخـــــر) مـطـلـبٌ
لا يـنـبـغـي (لـلأولـيـــنْ)!
فـالـدّيـنُ والـخُـلُـقُ الـمتين
حِـثَـاث[1] عـهـد الأقـدمـيـنْ
والـخـالـدون؛ خُـرافَـةُ الـماضي
ومـــا مـــن خـــالـــدِيـــن

(١) يراد بالحثاث هنا: بقايا.

إلا (رعـــاة الـشـعـب) روّاد

.. الـكـفـاح (الـكـادحـيـن)

الـمـسـتـمـدّيـن الـهـدايـة

مـن (لـينـين) أو (اسـتـالـين)!

ذخْـــــرُ الـــبـــلاد هُـــمُ،

وغيرهم صدى المستعمرين

وصـنـائـعُ الأعـــداء رَهْـــطُ

.. الـخـائـنـيـن الـمـارقـيـن!

❁❁❁

لا ضـيْـر يـا أخـتـاه أنْ

أحـيـا حـيـاة الـزاهـديـنْ

مُـتَـجَـنِّـبـاً رَهـــج الـزمـان

كـأنـنـي لـيـثٌ رَهِـيـنْ

فـكـرامـة الإنـســان أجْـدى

مـن كـنـوز الـكـانـزيـنْ

وتـرفُـع الـمـضـطـر أسـمـى

مـن طـمـوح الـطـامـحـيـنْ

❁❁❁

كم ليلةٍ أحييْتُها
متوحّداً في (الأربعينْ)[١]
مُتَفكراً مُتَذكّراً
مُستعبراً جمَّ الحنينْ
مسترجعاً ما كان من
أمري على مرّ السنينْ
عمل بذلتُ له قصارى..
الجهدِ بذل الصادقينْ
أخْلصْتُ لا مُتكلِّفاً
فَأثَرْتُ غير المخلصينْ
واسْتَهْدفَتْنِي في الحياة
سهامُ بغي الكائدينْ
وإذا النفوس تهافتَتْ
ألْفَيْتُنِي في الثابتينْ
أللهُ يعلمُ والملائِكُ
.. حاسِبِين وكاتبينْ

(١) جبل الأربعين: مصيف قرب مدينة حلب.

بين الوزارة والسفارة

.. ما لقيتُ من السنينْ

وتشرّدي عن موْطني

والبعْد عن أمِّ البنينْ

وعن الصغار شَغَافِ قلبي

.. الدّارجين الزاحفينْ

وتَجَرُّعِي غُصصَ النَّوَى

وتصبُّري في الصابرينْ

والحَيْنُ يرقُبُني وأرقُبُ

.. أمْرَهُ في كلِّ حينْ

حتّى إذا ما زلزل..

الرحمن عرشَ الظالمينْ

وتسابَقَ المُتَناهِبُون

.. وأصبحوا في الحاكمينْ

وتقسّمُوا ما بينهم

أسْلابَ قوم ذاهبينْ

حَبسَ التّرفُّع خُطوتي

فوجدْتُنِي في المُحْجِمِينْ

ودُعِـــيـــتُ لـلـجُـلَّـى فلـم
أحْـجِـم وغِـظـتُ الـحـاسـديـنْ
وبـذلـتُ نـفْـسـي دونَ قـصـدٍ
.. فـي حـمـى الـبـلـدِ الأمـيـنْ
بِـــتـــذلُّـــلِـــي لله ذلَّـــلـــت
.. الـمـنـى لـلـعـابـديـنْ
الـــزائـــريـــن الـــذاكـــريـــن
الـعـاكـفـيـن الـطـائـفـيـنْ
أنـــا لـســتُ أزُعُـــمُ أنّـنـي
وفَّـــيـــتُ حـــق الـــوافـــديـــنْ
جُـهْـدُ الـمُـقِـل ومـا عـلـيَّ
.. فـمـا أنـا فـي الـمـوسـريـنْ
الله يـجـبـر عـجـز مـثـلـي
وهـــو خـيـر الـجـابـريـن

❁❁❁

غـيـظ الـعُـدى فـتـألَّـبـوا
وتـــدبـــروا نـصـبَ الـكـمـيـنْ

والشرُّ أقدَرُ في التَّأَلُّب

.. إنه داءٌ دفين

قد أرجفوا فَنَداً كثيراً

.. ضلّ سعيُ المرجفينْ

وظفرتُ في التمحيص ما

ظفروا عُلايَ بما يدينْ

فعدا كبيرُهُم عليّ

.. وإنه (كبش سمينْ)

قد نالَهُ ويَنَالُهُ

ورفاقه العدلُ المبينْ

نزعوا (السفارة) من يدي

فمضيت مرفوع الجبينْ

لم يرتفِع شأني بها

ورفعتها في الرافعينْ

وسَلَلْتُهُم من خاطِري

سَلَّ القَذاةِ من العجينْ

ولَزِمْتُ خِدْري في إباءٍ

.. شيمة الطبع الرزينْ

ولـقـد أضـيـق بـعُـزلـتـي
والأسـدُ تَـبـرَمُ بـالـعـريـنْ
ويَـذودُ عـن جَـفْـنـي الـكـرى
هِـمَـمٌ وهـمّ ذو رنـيـنْ
هَـمُّ الـثـمـانـيـة الـصِّـغـار
.. وبـعـد تـاسـعُـهـم جـنـيـنْ
وهـمـومُ قـومـي فـوق هـمِّـي
.. تـمـلأ الـقـلـب الـحـزيـنْ
هِـمَـمٌ تـحـرِّق مُـهْـجَـتـي..
الـحـيـرى وتـأخـذ بـالـوتـيـن

❁❁❁

ولـقـد تـرى أمِّـي تَـقَـلُّـبَ
.. جـبـهـتـي فـي الـسـاجـديـنْ
وتُـحِـسُّ، رغْـمَ تَـحـفـظِـي،
بـؤسـي بـبـاصـرة الـفـطـيـنْ
فـتـقـولُ أمّـي: يـا بُـنَـي
.. اكـتـب إلـى الـخِـلِّ الأمـيـنْ

فلعلَّهُ، ولَعَلَّها، ولَعَلَّ

.. كربَك أن يلينْ

أمٌّ يدقُّ دعاؤها

باب السماء على يقينْ

نهضَتْ بعبئي مذ درجْتُ

.. نهوض ذي شغف أمينْ

وتعهّدَتْ، وأبي، سجايا..

الخير، والخُلقَ المكينْ

بذلا وما ضنَّا فكيفَ

.. أكون في الحمد الضنينْ

إني إذا أنْفَقْتُ عُمْري

شاكراً لهما مدين

❁❁❁

يا أمَّتا، هل يستخفُّ..

الحبُّ من رأي الرصينْ؟!

ويُسَوِّغُ الإشْفاق غَضَّ..

الطرف عما لا يزينْ؟!

أدَعَــوْتِــنِــي، وهــواي يكره
.. فــي الــعــلــى مــا تكرهــيــنْ
أدعــوتِــنــي لــلــبــذلِ مِــنْ
نــفــســي! ونــفــســي لا تــلــيــنْ
أنــا لا أذكِّــرُ بــي صــديــقــاً
..لــيــس لــي فــي الــذاكــريــنْ
إن كــان ذا جــاهٍ فــإنَّ
.. الله ذو الــجــاه الــمــبــيــنْ
يــا أمَّــتــا إنــي مــن الــرحــمــن
.. فــي حــصــن حــصــيــنْ
عــلَّــمْــتِــنِــي حِــفــظ الــكــرامــة؛
ســوف أحــفــظــهــا كــدِيــنْ
لــن أبــذِلَ الــنــفــس الأبــيَّــة
.. لــلــقــريــب ولــلــقــريــنْ
أللّه حــســبــي مــن مــعــينٍ
.. إنــه نِــعــم الــمــعــيــنْ

# قضاء

جبل الأربعين، أريحا، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م

أرنو بعين فؤادي، والهوى بصر،
إلى مدى، قاصرٌ عن أفقه النظرُ

أرنو إلى هدف، تاهت معالمه
بين الأماني، وأقصى درْبهُ القدرُ

أرنو إلى أمل، العقل ينكره،
والحدس يرقبه، والغيب يدَّخِرُ

حيران حيران، يقظان العلى، أرِقٌ
الليل يشهد، والآهات، والسهرُ

توحدي زفرات في السماء لها
صدى نشيج وَعَتْهُ الأنجمُ الزُهرُ

سرى جواه إلى لألائها فبدت
كأنها في فراش الصبح تُحْتَضَرُ

❁❁❁

مـــاذا وراءك يـــا آفـــاق مـــن خبـــر!
سلي الغيوب أمـا لـي عندها خبرُ؟

النفس في غـرقٍ، والـروح في قلقٍ
والقلب في حُـرَقٍ، والـرأيُ يصطبرُ

أرنـــو إلـــى فلك فـوق الـسماء سما
أجـــواؤه مِـلـؤُهـا الإبـهـام والـخَـدَرُ

كـم اشـــرأبـتْ إلـــى أغـــواره فكري
تُـريـد سـبـراً لـهـا فـارتـدَّتْ الفكرُ

وكـم تـطـاول عقـلي فـوق طاقته
غوصاً على كنهه، والكنهُ مستترُ!

يـنـأى ويـهـرب مـا جنّحتُ أخيلَتي
فـي إثـره، فيضيع الأصـلُ والأثـرُ!

❁❁❁

يـا بـاسـط الـدهـر مـمـتـداً إلـى أزل
هل تنقضي غصصي، أم ينقضي الدهَرُ

وهـل لغربة روحـي فـي الحياة هوىً
يحنو ويؤنسني! أم طابت الحُفرُ؟

مـاذا نفيد، وقـد جفَّتْ حُشاشتنا
مـن السـنينَ، إذا أنـدى لنـا الوطـرُ
هـذا زمـانـك يـا آمـال فانطلقي
وأشـرقـي بـحـيـاة كـلـهـا غُـرَرُ
لـو أن لـي طـاعـة فـي الأمـر نـافذةً
لنلتُ أقصى المنى والعمرُ مزدهرُ
لـكـنـنـي بـقـضـاء الله مـرتـهَـنٌ
سمعاً وطوعاً لأمـر الله يـا (عمـرُ)

❁❁❁

يـا رب، أيـن يـدٌ تحبو بـهـا كـرمـاً
جـزاء مـن فـي مُلِمات الهوى صبروا
ظـمـآنُ ظـمـآن، والأكـوان متـرعـة
عـذبـاً فـراتـاً، وجـوفـي مـلـؤه شـرر
متى أبُـلّ صـدى وَجْـدَيَّ، وا حربـا،
للمجد والحب، أين الشمس والقمرُ!

# غيث في آب

جبل الأربعين، أريحا، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م

ما لأفقي في الغَيب يعدو قصيّا
والفضاء السحيق يطويه طيا
وكأن الغيوم ثارت غبارا
حَجبتْه فلم يعد مرئيا
من يرى ما أرى! أنا اليوم وحدي
بصرٌ يرمق الجبال مليا
وجمال الأكوان سلوى ونجوى
لِمُعنّى أساه ما زال حيا
الدنى رونقٌ زها وتهادى
إذ سقاه الخريف راح رَويّا
نَعِس السهل فارتمى وتمطى
مُرْسِلاً في الشعاب طرفاً خفياً
وذُكاء المعطاء مالتْ عليه
بشعاع ثَرّ وخرَّتْ جِثيا

قد حبتْه ألوانَ طيف عِذاباً

فبدا في شفوفه عبقريا

فاخضرارٌ يمتدّ ما امتد طَرفٌ

يتراءى تموّجاً مُخمليا

واسمِرار وشُقرةٌ وضُروبٌ

من ظلال تغيب شيّاً فشيّا

وشِفاه الفِجاج تلعس في الغيم

.. وكان احمرارُها (قِرمِزيا)

وكأن الأشجار وهي فرادى

بعضُ زواره ألَمَّ وحيَّا

وجماعاتها على جانبيه

حانياتٌ كَمن عقدن نديا

وخيال الغيوم أدكنُ يحبو

مثقلاً مُصعِداً يُخال كميَّا

والسماء الولهى تموج غَماماً

بينه زرقةٌ تَشُدّ وتعيا

❁❁❁

يا حياتي ما بين صبري وبثي

ما حياتي والهم دَوّى دويّا

السماء الرؤوم تُصغي لشكوايَ

وترعى قلبي الشقيَّ الشجيا

أرسلت من عيونها الزرقِ دمعاً

فكأني بها تنوح عليا

سمِعتْني أشدو غريباً كئيباً

فحَبَتْني حنانها العلويا

ورأتني حيران أرنو وأرنو

دون قصد بادٍ فمالتْ إليا

وجدتني أحيا وحيداً فنادتْ

يا ابن جوي إليَّ نخلص نجيًّا

فاستجابتْ سجيتي وتسامت

في انطلاقٍ بين الثرى والثريا

حيث مدَّتْ نحوي شعاعاً من..

الشمسِ فصرنا إلى السماء سويًّا

❁❁❁

بسطتْ لي يداً وشدَّتْ بأخرى

وإذا قوة الورى في يديَّا

وسقتني كأساً من السحر فيهِ

الشعر والمجد والهُيام، شهيا

فكأن السنا تجلى لقلبي

وكأنَّ الإبهام عاد جليا

وكأن البقاء حفّ بذاتي

فتربَّعْتُ كائناً أزَليَّا

وكسَتْني من نشوة الحلم بُردا

من نُثار الأفلاك حِيكَ، وشِيَّا

ثم قالت هذي جنانُك فاسرح

في مداها وظلها وتَفيَّا

فاحتواني جو أشاع بكنهي

خدراً، يستثير قلبي، نديَّا

وتلبّثتُ حائر الطرف حيناً

شارداً ذاهل الكيان عَيِيَّا

وإذا بالجمال من كل صوبٍ

يتهادى حولي ويهتف هيَّا

فتَنَبَّهْتُ مطمئناً هنياً

وكأن الجَنان عاد فتيا

وتنقلتُ في المراتع طَلْقاً

وفؤادي يفترّ بالحبِّ حيا

وعقدتُ الوداد بيني وبين..

النور، في نبعه سخياً سنيا

وتآلفتُ والعوالم حتى

خِلتُني كُنتُ خِدنها الأزليا

فتشاكيتُ والغيوم همومي

وتساقيتُ والنجومَ الحُمَيَّا

ونَثَثْتُ الهوى الذي في ضلوعي

فرأيتُ الأفلاك تحنو عليا

وتماديتُ في الشكاة فهاج..

الحُزْنُ من أدمعي أبياً عصيا

وإذا بالدجى يميل ابتئاساً

وإذا بالسديم يرنو مليا

وإذا البدر بعد أن كان يزهو

ناضِرَ الوجه مشرقاً عسجدِيًّا

جـذب الـغـيـم فـوق عـيـنـيـه..

والأنجم من حوله، وراحتْ بُكِيًّا

والمناحات في السماوات قامت

لِجوى شاعر على الهمّ يحيا

فتململتُ نادماً دون جدوى

إن دمعي العصيَّ هاج أتِيًّا

وتعثرتُ فارتميتُ إلى الأرضِ

.. وماءُ السماء يجري سخيا

❁❁❁

وتحاكى الأنام عن عاصف الجوِّ

وغَيثٍ في آب قدْ فاض رِيًّا

ما دروا عن خبيئة السر شيئاً

إن أمر السماء كان بدِيًّا

هو عطف الأفلاك والملإ الأعلى

.. على مدنفٍ يعيش قصيّا

هو قلبي قد ضاق بالكبتِ ذرعاً

ولكم كان في الهوى أريحيا

هي روحي ذابتْ وسالتْ غيوثاً
هي نفسي فاضت فسَقياً ورَعيا

❁❁❁

كم سكبتُ الأشواق لحناً شجياً
ودموع الحرمان عطراً شذيا
صغتُ للحب والجمال، بشعري
وشُعوري، حباتِ قلبي حليا
ولففتُ الجوى ببسمة صبرٍ
وكتمتُ الهوى وعِشتُ أبِيا!

# هاتف

حلب، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م

كتبت رقم هاتفه بميل مكحلتها.. ثم كان بينهما حديث:

(القرص) دارَ وصوتي في تهدّجه
يكاد في الأذن يُلقي وجده نارا
وقد رأيتك -رغم البون- مقبلةً
والصبّ أنفذ خلق الله أنظارا
أحسست من صدرك الظمآن وقدته
كأنما جمره في أضلعي ثارا
وحار قولي، وكم في النفس من فكر
حارت، وكم من هوى في القلب قد حارا

❁❁❁

كتبتِ بالمرْوَد الغالي الذي لَثِمَت
شفاهُه، عَيْنَكِ الخضراء تكرارا

وعلَّ من راحها رشفاً، وغلغل في..

الشفاه رأس لسان في اللمى دارا

المرود المستمد العِطر أنمله

من عطرك اللذ حتى صار مِعطارا

المرود (الناثر) الكحل الدقيق على

جفنيكِ سحراً وإغراءً وأشعارا

كتَبتِ، والثغر مزدانٌ ببسمته،

والقلب يزفر في الأضلاع قيثارا

كتبتِ من هاتفي أرقامه فسرى

بين الهواتف، خفق القلب تيارا

❁❁❁

يا أختَ همي وحرماني وموهبتي

ماذا أبثكِ؟ أجَّ القلب أسرارا

هل أنقض المبدأ المكنونَ في خلدي

في الروح والعقل إيماناً وإكبارا!

هل أُلبِس العُمر نكراً بعد عفته

وأعْقِبَ الصبر آثاماً وأوزارا!

أم أُمسك الداء، قد جالت قواصمه

حمى بجسمي، أوصالا وأغوارا؟!

❁❁❁

أحيا على ظمأ والكأس مترعةٌ

تدعو فمي، ودمي المكبوت قد فارا

بركان قلبي عزَّ الصبر يمسكه

يكاد يقذف بي في الكون إعصارا

يا أختَ همي وحرماني ومشكلتي

أشكو إليك، كما تشكين، أقدارا

بين الهدى والهوى ذابتْ حُشاشتنا

قتلاهما نحن، ممن نطلبُ الثارا؟!

# غفوة صاحية

جبل الأربعين، أريحا، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م

سأسمو على زيف هذي الحياة
إلى معرجِ العزلة النائيةْ
وأهجر ضوضاء لا تنتهي
تُثيرُ وتحرقُ أعصابيَهْ
إلى مُبهَمات الظلام العميق
إلى حَيْرة الليلة الساجيةْ
إلى منبع الصفو خلف السماء
إلى مرتع الأمن والعافيةْ
أَزيد فتوري، وأُطفي لظى
شعوري، وأكبتُ أشعاريهْ
أبلّدُ حسي، أجمّد نفسي
أغيضُ، وأكتم أنفاسيهْ

وأغـــدو ســكـونـاً بـعـيـد الـمـدى
يُـشِـــعُ طـمـأنـيـنـة راضـــيـــةْ
ويُضفي على الكون معنى الحياة
وئـــامـــاً، ومـــرحـــمـــة نـامـيـةْ
وإذ ذاك، بـعـد الـهـدى والـهـدوء
وغَـوْصِـــي عـلـى (لانـهـايـاتـيـهْ)
ســأرجـع كـالـفـجـر، بـعـد الـفَـنَـاء..
الـمـولِّـد، والـغـفـوة الـصـاحـيـةْ
ســأرجـع خَـلـقـاً فـتـيـاً ســويـاً
وقـد (هَـنْـدَسَـتْ) عـزلـتـي ذاتـيـهْ
نَضَـتْ عـن كـيـانـي غـبـارَ الـزُيـوفِ
وجَـلَّـتْ حـقـيـقـتـيَ الـعـاريـةْ
وألَّـقَـتِ الـجـوهـرَ الـمُـسْـتَـكِـنَّ
بـكـنـهـي، يُـضَـوِّئُ أغـواريـهْ
ويُـطـلِـقـنـي قـدرةً فـي الـوجـودِ
تـــؤدي رســـالـــة إيـمـانـيـهْ
رسـالـةَ جـمـعِ الـكـيـانِ الشَّـتـيـتِ
رسـالـة بـعـثِ الـمـنـى الـغـالـيـةْ

رسالةَ مجدٍ إلى الله يرقى
تُحَقِّقه أمةٌ هاديةْ
جهادٌ على الدهر يُملي الخلود
ويَصْمُدُ في الزعزع العاتيةْ
وللحُرِّ في روحه نفحةٌ
من الله، من روحه الباقيةْ

# مارد

جبل الأربعين، أريحا، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م

يـــا غـــدي هـــل مـــن جـديـد
لـيـس فـي يـومـي وأمـســي
كـــلُّ فـجـرٍ مـشـــرق، يـودي
.. بـــه مَـــغـــربُ شـمـسِ
والـــلـــيـــالـــي تـــتـــوارى
والـــدُّنـــى لَـبْـسٌ بـلَـبْـسِ
عُـــمُـــرٌ أيـــامُـــه تـنـحـتُّ
.. مـــن هـمـي وبـؤســي
كـــرمـــادٍ يـغـبـشُ الـجـذوة
.. مـــن عـــزمـــي وبـــأســـي
كـــلُّ يـــوم ضـــربـــةٌ مـن
مِـــعْـــوَلٍ، تـحـفِـرُ رمـســي!

❁❁❁

المـــنـــى تـــرقـــبُ ســعـيـي

وأنـــــا فـــي غـــور حـبـسِ

لَـــهْـــفَ نـفـســي ذهـبـت..

فـحـوايَ هـــدراً لـهـف نفسي

لـيـس يـأســاً بـل هـو..

الـهـمّ الـــذي يـهـزمُ نـفـسـي

فـــي دمـــائـــي كـبـريـاءُ

نـغَّـصـتْ فـي الـعـيـش أُنْـسـي

وهـــوىً يـصـبـحُ فـي الـمـجـد

.. وفـــي الـــرونـــق يـمـسـي

وإبـــــاءٌ مـــرهِـــقٌ نـزَّهـنـي

.. عـــن كـــل رجـــسِ

إنـــهـــا أغـــــلالُ نـفـسـي

وســـجـــايـــايَ وحِـــسـي

شِـيَـمٌ كـالـمـاردِ الـجـبـارِ

.. فـــي قـمـقـم رأســـي

ربـــط الله عـلـى روحـي

.. فـــأجَّـــتْ دونَ نـبـسِ

ولـــقـــد أبْـــــرَم فـــي أســـري
.. فـيـســتـعـلـنُ هـمـسـي
يـبـرمُ الـبـدرُ إذا سـاقَـتْـهُ
.. أقـــــــدارٌ لِـــوَكْـــس
بـيـدَ أنـــي دائـــبٌ كـالـدهـرِ
فـــي ســـعـــد ونـحـــسِ
غـــمـــراتُ الـــبـــؤسِ أرضـــى
لـــي مـــن نـعـمـة نِـكْـسِ
والـــردى أشـهـى إلـــى نفسي
مـــن الـعـيـش الأخـــسِ
وسُـــــلاف الـــحـــب راحـــي
وشَـــغـــاف الـــقـــلـــب كـأســـي
والـــســـمـــاوات مَـــراحـــي
ولـــقـــاءُ الله عـرســـي

# في البكور

جبل الأربعين، أريحا، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م

قُـــمْ حـــيٍّ إبـــــداعَ الإلـــه
.. وقـــد تـجـلّـى فـي الـبُـكـوْر
وكـــــأنّ مـــا فـــي الـلـيـل مـن
نـجـم وصـــهـبـاءٍ وحُـــورْ
وهـــــوىً تـزيـنـه الـزهـور
وتـنـتـشـي فـيـه الـعـطـورْ
صُـــهِـرتْ ببوتقة السماء
وبُـــرِّئـــتْ مـــن كـــل زورْ
فـتـنـفـسـتْ أرواحُـــهـــا عـن
نـفـحـةٍ فـيـهـا الـنـشـورْ
وافـتـرّ ثـغـر الـصـبـح جـذلانَ
.. الـمـنـى، جَـــمَّ الـســرورْ

فمضى يذرّ على الربى
من ذوبِها أمشاجَ نورْ
البعض سال على الذرى
والبعض مؤتلقٌ يسورْ
وشعاعه الوثّاب يجتاز
.. الفضاء إلى القصورْ
ومن النوافذ يرسل النظرات
.. في ثُغَر الستورْ
وتحثّه نزواتُ جرأته
.. فيقتحم الخُدورْ
ويكون ثَمَّ تعانقٌ
بين الأشعة والبدور
فمن الأشعة ما يلوبُ
.. صبابة فوق الثغورْ
ومن الأشعة ما يظل
.. يَشَمُّ من أَرَجِ النحور
ومن الأشعة ما يطِل
.. على النهود من الصدورْ

ومـــن الأشـــعـــة مـــا يـــذوب
.. تـولـهـاً عـبـر الـخُـصـورْ
ومـــن الأشـــعـــة مـــا يـدغـدغ
.. دفـــؤه دفءَ الـحـجـور
ومـــن الأشـــعـــة مـــا يـثـيـرُ
وفـــي الـطـبـائـع مـــا يـثـور
ومـــن الأشـــعـــة مـــا يـــدور
مـــع الـمـنـى أنـــى تـــدور

❁❁❁

سـبـحـان مـن مـنـح الـبـكـور
.. مـفـاتـن الـسـحـر الـطـهـورْ
وحـــبـــا أشـــعـــتـــهـــا قـــوىً
تـهـبُ الـمـضـاء ولا تـحـورْ
وأدار مـــا بـيـن الـدجـى
والـفـجـر دولاب الـدهـورْ
يـجـري عـلـى حـدو الـحـيـاة
.. وشـــدوِ أســـراب الـطـيـورْ

سبحان من أمضى على

إيقاعه خطو العصورْ

# شبح الخريف

جبل الأربعين، أريحا، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م

تلامح الخريف...

لغيومه في الآفاق تشكلات رائعة الجمال...

على الأشجار حمرة مصفرة، ودفء يثير في النفوس شعوراً مبهما، كأنه حزن الوداع...

كانت حقول القطن، في السهل المنساب بعيداً من (جبل الأربعين) تتفتح عن ثمرها الناصع، كأنه نجوم تتلألأ، في ليلة ساجية... لقد كان يلمع في البون البنفسجي، تحت أشعة الشمس المسددة إليه من فجوات الغيوم...

وكنا نستعد للرحيل إلى (حلب) حيث تنتظرنا شؤون الحياة وشجونها...

شبح الخريف أطلّ عن كثبِ
والشمس لاحتْ من كوى السحبِ
حيرى وقد فترتْ حرارتُها
ترنو إلى بحر الدنى اللَّجِبِ

وعلى أشعتها التي عبرتْ

ثُغَرَ الغيوم، أمائرُ التعبِ

مدَّتْ لها الأشجار أيديها

فترنحتْ كالمُدْنَفِ الطَّربِ

وعلى الغصون رمت غلائلها

وعقيقها المُخَضَّلَ بالذهبِ

والسهل مغرور المُنى طمِحَتْ

أحلامه الظمأى إلى الشهبِ

للقطنِ ألْقٌ في مزارعه

فكأنما يفتر عن حببِ

والمُخْمَلُ المنقوش، قد نُشِرَتْ

طياتُهُ، عرضاً بلا طلبِ

وتبوَّأت أنحاء ساحته

وتمددتْ فيها على رُتَبِ

ألوانه شتى، وأخضرُها

في زهوه، متفاوتُ النِّسبِ

سهل من الفردوس مُختلسٌ

تحنو عليه مدارجُ الرَّتَبِ

كِسَفُ الغمام علتْ مسارحه
تحبو مُشَعَّثَةً على الرُكبِ
وظلالها الغبراء راسمةٌ
بقعاً على أثوابه القُشُبِ
قد لاح منها وجه بسطته
ما بينَ مبتسِمٍ ومكتئبِ
وذُكاء في كبد الغيوم لها
مدّ وجزرٌ دونما صخبِ
وعلى السماء مصوراتُ دنىً
سحريةٍ مجهولةِ النّسبِ
وعوالمٌ كالحلم شاردة
أخبارها لم تُرْوَ في الكتبِ
سفنٌ وراء البونِ مُشرعةٌ
وعجائزٌ عكفتْ على حَدَبِ
ووحوش غابٍ ثار ثائرها
فتواثبتْ في وقدة الغضبِ
وولائدٌ في الجو قد سرحتْ
وتضاربت في سَورة اللعبِ

والشمس ترسلُ من أشعتها
شَعراً لها قد صيغ من قصبِ
صُوَرٌ منورة الجمال زهتْ
ما بين منطَلقٍ ومنقَلَبِ
سُحُبٌ يراكضها وينفخها
عبث الرياح لغير ما سببِ
فتظل تفتلُ في مُداورة
حِيناً وتهرب دونما رَهَبِ
بتعثّراتٍ لا انتهاء لها
تُعْيي يراعَ مُصَوِّرٍ دَرِبِ
والأفْق حيران المدى ثملتْ
في ناظريه مشاهد الحُقبِ
وتمطّتِ الآمال غافيةً
في ساعديه على رؤى النَشَبِ
وكأنما أعتابه افترشتْ
قُنن الجبال ورغوة السحبِ

❁❁❁

أمـــا أنـــا فـلـزمـتُ زاويـتـي

مـن غـيـر مـا رغَـــبٍ ولا رَهَـــبِ

مُـتـنـاسـيـاً يـأس الـهـوى ولظى

هـمـي، ومـشـكـلـتي تـطـوّفُ بي

فـي هـــدأةٍ، والـكـون منبسطٌ

حـولـي، يُـلَـطِّـفُ دِفْـؤه نصبي

وعلى الـمـدى الـنـائي مـنـازلُ قد

لاحـــتْ كـأكـداسٍ مـن الـعـلـبِ

وتصاغرتْ في العينِ إذا بعُدتْ

فـبـدتْ كـأشـتـاتٍ مـن الـلُـعَـبِ

وأخـــذتُ، والأهـــدابُ مرسلةٌ،

أرنـو إلـى الأغـصـان والـشّـذبِ

والـــريـــح تـدفـعـهـا وتـجـذبـهـا

فِـعْـلَ الـغـلامِ الـنـاقـمِ الشَّـغِـبِ

فـيـطـيـر مـــن أوراقـــهـــا نَـثـرٌ

ويـــدور فـوق الـتُـربِ فـي لَـغَـبِ

وأمـــدّ طـرْفـي دونـمـا هـدفٍ

حـيـنـاً إلـــى الأوداء والـكـثـبِ

تزهو معالمها وتَغْمُض في
وهمي، ولم تَظْهر ولم تَغِبِ
وكأنما ألوانها اختلجتْ
في العين من صَهَبٍ إلى شَهَبِ
والكرمة السمراء ترجف من
نقر الهَزارِ بقية العنبِ
والعَصْف حفَّ لحية نسلتْ
كالسهم فزعى دونما حَرَبِ
والهرة الشقراء تنطحني
وتمد أيديها على رُكبِي
كسلى تشمّ أناملي مَلَقاً
وتموء في رفقٍ وفي أدبِ
وتعضّها هوناً وتلعقها
ولسانها كالمُخملِ الزغِبِ
وتعوق خطوي في تدللها
وتسير إما سرتُ في طلبي
فإذا جلستُ جثتْ على قدمي
والرأس معكوف على الذنبِ

وسكنتُ والأفكار هائمة

وغفوتُ عن ظمئي وعن سغبي

وكأن في عينيَّ أخيلة

سكرى الظلال لمعهدٍ خَربِ

والنفس شاردة الهوى ذهلت

عن ذاتها في حلم مُغْتَرِبِ

يبني على الآمال نشوَته

وكأنها خِلوٌ من الوصبِ

تحيا دقائق وهي مغفلةٌ

أعباءها كمُجَنَّحٍ عَزَبِ

ودَهِشتْ من نفسي وهدأتِها

ووددْتُ لو جُمِّدتُ في أهبي

الدهر عوّدني على صخب

فإذا تهدَّأ كان من عَجَبِ

خلس كومض البرق خاطفة

ونؤوبُ للضوضاء والسخبِ

يا ساعة عبرت بلا نكد

مهلاً، وما للرحْلِ والقَتَبِ

مـــاذا تـعـجُـلُـنـا إلـــى (حـلـب)

ومُـنـغِّـصـاتُ العيش فـي (حلب)

كم رمـتُ منها لو رجعتُ سدىً

أو أنـنـي فـي (الأربـعـيـن) صَبي

أو أنـنـي فـي الـمجد مـا علقتْ

نفسي وفـي الإقـــدام والـغَـلَـبِ

أو أن قـلـبـي، والـهـوى دمـه

لـم يَـكْـوِهِ الـحـرمـانُ باللهبِ

أو أنـــنـــي لا عـــبءَ يـرهـقـنـي

أحـيـا خـديـنَ الـفـنّ الأدبِ

لـكـنـهـا الأقـــــدار قـد قـذفـتْ

بـي فـي دنـى حـمـالـةِ الـحطبِ

فـمضـيـتُ فـي دربـي على جَلدٍ

وحـمـلـتُ عبئي حـمـلَ ذي دأبِ

وأنـــا أبٌ فـي أضـلـعـي مُـــزَعٌ

تـسـع مـن الأطـفـال تـهـتف بي

هـل فـي حـنـانِ الـنـاس منـزلـةٌ

أهـــدى وأرفـــعُ مـن حـنـانِ أبِ

وإذا الإبـــاء مضى بـذي شمم
لـم يخشَ حملَ الهمِّ والتعبِ
ومُـــــرُوءة الإنســـان تقحمه
فـي الهـول والـــلأواء والـكُـرَبِ
والـــحُـــرّ لا يـجفو مُـــروءَتَـه
ومُـــروءةُ الأحـــرار فـي نَسَبي

❁❁❁

شبح الخريف أطـلّ عـن كثبٍ
هلْ في الخريف طلائعُ العَطبِ
أم إنـــه سـيُطل بـعـد غـدٍ
ألْـقُ الربيع كصَفْقَة الطَّربِ
وَدَّعْـــتُ أيـــام الشـبـاب وقـد
ولّـــتْ، بـدمـعٍ غـيـرِ منسكبِ
وكـهـولـتـي تـمـضـي عـلـى أمـل
فـي الـغـيـبِ أحـــداثٌ لـمُـرْتَـقَـبِ!
لـم أَجْـــنِ عـمـري بـهـجةً وهـوىً
والله أعـلـمُ كـيـف مـنـقـلـبـي

لـو أن دهــري مُـسْـعِـفٌ لبنى
ركـنـي لـديـه على ذرى الشـهـبِ

❁❁❁

الـهـولُ فـي دربــي وفــي هـدفـي
وأظــلّ أمـضـي غـيـرَ مُـضـطـربِ
مـا كـنـتُ مـن نفسي على خَـوَرٍ
أو كـنـتُ مـن ربــيَ عـلـى ريَـبِ
مـا فـي الـمـنـايـا مـا أحـــاذرُهُ
اللهُ مــلءُ الـقـصـدِ والأَربِ

# ضمير

حلب، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م

يا ضميري كم ذا تُنَغِّص أنسي
عمرَكَ الله، لو رأفتَ بنفسي
فحياتي العنوت عبءٌ رزاحٌ
وهمومي رحىً تدورُ برأسي
والمروءات حافزٌ مستبدٌ
وليالي الخواء توهنُ بأسي
فإذا ما لمحتُ بارقَ لهوٍ
في حواشي الحياة يزحمُ بؤسي
واشرأبَّ الصّبا المكبلُ بالأعباء
.. يرنو إلى عُلالة كأسِ
وسرتْ في اللهاةِ نشوةُ ري
مُتَمَنًّى لما تزل رهن حبسِ

دبَّ منك التأنيبُ فيَّ دبيبا
يا ضميري، ورُحتَ تجتزُّ أنسي

❁❁❁

يا ضميري غدا كياني رُكاماً
من جراحي، في كل يوم وأمسِ
كلُّ يوم يمضي من العمر يهوي
كشهيدٍ في حرب أقدسِ قدسِ
في جهادي، لفتيتي وبلادي
ومُرادي، وفي جهاديَ نفسي
ومرادي! تحارُ فيه الأماني
والمعاني بين اتضاحٍ ولبسِ
تتهادى رؤاه يقظى ووسني
بين عزم ماضٍ، وريث، ويأس

❁❁❁

يا ضميري، هلّا حللتَ وَثاقي؟
كاد هذا الوَثاق يُخمد حسّي!

التقى؛ ما التقى وفي الجسمِ نارٌ

تمضغ القلبَ بين ناب وضرس!

كلما حامتْ الخِلابة حولي

هَمَّ سهمي، وارتجَّ للنَزعِ قوسي

ويروح الإغواء عني ويغدو

وأنا مُصبحُ التطلّع ممسِ

يرقص النهد في عيوني، وتغلي

في شفاهي الظمأى، ارتعاشةُ لعسِ

ودماء الشباب بركان تَوقٍ

فجَّرته في الجسم نزوة جنسِ

الجنى مشرفٌ عليَّ شهيٌ

حسبه للقطاف أرهفُ جَسِّ

كم دعاني إليهِ شوقٌ مُلِحٌ

يهمسُ الوصلُ فيه أعذبَ همسِ

ودعاه إليَّ حُسْنٌ مطيعٌ

ونزوعٌ في الطبع، من غير نَبْس؟

بيدَ أن الضمير ثَمَّ رقيبٌ

كلما رُمْتُ لمسةً شَلَّ لمسي

كم هوتْ زهرةُ الهوى وترامتْ

عند أحكامه بضربة فأسِ

❁❁❁

يا ضميري؛ أقصرْ، فما هَمَّ عزمي

بِتَرَدٍّ، أو هامَ قصدي برِجْسِ

في نجاري على الخنا كبرياءٌ

وجِماحٌ على السلوك الأخسِ

غير أني إذا تصدعَ صبري

ودجى الهم في صحائف طِرْسي

واعتراني من الشجون كَلالٌ

فضوى مِشعلي، وأبهم حدسي

وتعالتْ للبشر حولي لُحونٌ

فكأن الحياةَ مجمعُ عِرسِ

ربما ضِقتُ بالتوحدِ ذرعاً

وتمنتْ مباهجَ الأنسِ نفسي

❁❁❁

يا ضميري لقد حكمتَ فأسجحْ
يا لبؤس الحياة في شِدق رمسِ
عبث الحُرِّ لا يكونُ زريَّاً
لممٌ لا يصيبُ عزماً ببأسِ
هل على النيِّر المُجلّي جُناحٌ
إن خبا فترةً بعارض وَكْسِ
عُمُري في الهوى سُويعة أنْسٍ
في الغد المشرئِبِّ تغربُ شمسي

❁❁❁

أتأسى حيناً، وأجمح حيناً
ليس يشفي الأوامَ آلُ التأسي
في فؤادي للصبر غرسٌ جَنِيٌّ
يا إلهي، فاكْلأ جنايَ وغرسي
وحياتي هواتفٌ وجُروسٌ
وهُتافُ الضمير أنبل جرْسِ

# حَرَم الحب

حلب، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م

لي حبيبٌ لم يغِبْ عن خَلَدي
وهوى نفسي ولا طرفةَ عينْ
لَزِمَتْ صورته منطَلَقَ البصر
.. الخافقِ بين النظرتينْ
كل شيء شمِلتهُ نظرتي
ضمَّ من طيفِ حبيبي صورتين
هو من قبلُ ومن بعدُ له
صورةٌ ماثلة في الجانبينْ
فأنا أبصرُ قصدي مرةً
وأرى طيفَ حبيبي مرَّتينْ
عَلِقتْ منه بعيني بسمةٌ
أفعمتْ عمريَ من سعدٍ وزيْنْ

وحَبَتْ ساحةَ رؤياي سناً
وشِفاهَ الكون ثغراً من لُجَينْ

❁❁❁

يا حبيباً لم يزل من جرسهِ
ملءَ أجوائي، صدىً للنغمتينْ:
نغمة الهمسِ بآهاتِ الهوى
ونجاوى الصمتِ بين الخافقينْ
ويزيدُ الصمتَ معنىً بيننا
نَفَسٌ دورته من دورتينْ
نَفَسٌ ملتهبٌ كُوِّنَ من
ذوبِ نفسينا ومَزْجِ النفسَينْ
نفسٌ نيرانه قد تركتْ
أثَراً في وجهها في الوجنتينْ
كم لنا، في رمضانٍ خلوةٍ
ثملَ القلبُ بها من غير شَينْ
ولُبانات قضينا بعضها
وتركنا بعضها ما بينَ بينْ

❁❁❁

وخـــيـــالاتُ رؤى يـقـظـتـنـا

أطـلَـقَـتـنـا لـهـوانـا هـائـمـيـنْ

شـــرد الـحـلـمُ بـنـا عـن ذاتـنـا

واستوى في حِسِّنا صدقٌ ومَيْنْ

الـمـنـى تـشـدو لـنـا ألـحـانـنـا

وعـيـون الـحـبِّ تـروي قصتينْ

فـي بـيـانٍ صـامـتٍ ألـفـاظُـه

لـهـثـاتٌ واشـتـبـاكـات يـديـنْ

وحـنـايـا رَنَّـــمَـــتْ أنـغـامـهـا

زفـرتـيـن هـامـتـا فـي زفـرتـيـنْ

زفـــرةٌ فـــي زفـــرةٍ مـمـدودة

تـتـراخـى فـي طـوايـا الأذنـيـنْ

قـد سـرتْ كالخمر في نشوتها

تتمطى راحـهـا فـي الـسـاعـديـن

وأثـــارتْ نـــزوَةً فـي غـورنـا

وكـذا كـنـهُ الـورى: تـقـوى ورَيْـنْ

فـرنـا ثـغـرٌ إلـــى ثـغـر جـوىً

مُـذكِـيـاً فـي كـل ثـغـرٍ جمرتينْ

وارتمى خدٌ على جيدٍ صدىً
مُلْهِباً في كلِّ صدرٍ جذوتينْ
الهوى أفطرَ في أعماقنا
ولبثنا رغم هذا صائِمَيْنْ

❁❁❁

يا حبيبي كم لنا من منهلٍ
خَصِرٍ ينسابُ بينَ الجَنَّتينْ
وعيونٍ من نميرٍ كوثرٍ
ثرَّةٍ تضحكُ من مُلتَهِبينْ
الهوى يلهثُ في غوريهما
ماردٌ مُحْتَجَزٌ في قمقمينْ
يوصل النفثة جمراً واقداً
وشراراً هُجَّ من حَنْجَرَتينْ
لم تسيغا، في عنادٍ مؤمنٍ
أن تُبَلَّى غُلةً في رشفتينْ
لاب في توقهما كبتُ الصبا
فهوى ينهلُ راحَ المقلتينْ

يا حبيبي كم تلاقت في الرؤى
نَظْرَتانا، شَغَفاً، عيناً بعينْ
وتجاذبنا أحاديث الجوى
وتباثثنا شكاوى ظامِئينْ
همساتٌ مثلُ أصداء الشجا
تتسارى في نجاوى عاشقيْنْ
ولقد قلت وفي نهديكِ من
نظراتي رعشة كالومضتينْ:
إن في عينيكَ سراً عجباً
يُذهِبُ العيَّ فيوري النشوتينْ
قلتُ: لا بل ذاك من خمر الصّبا
والمنى رنَّحنا ترنيحتينْ
فقرعنا السنَّ بالسنِّ هوىً
وذكرنا الله عند القبلتينْ
وتهاوتْ ولهاً يَقْظَتُنَا
وتلقانا الكرى في لحظتينْ
غامتِ الأعصاب في غفوتنا
وسهتْ قافيةٌ عن مُنْشِدينْ

هَـــوَّمَ الـشِّـعْـرُ عـلـى أفـواهـنـا
شـفـتـيـنِ ذابـتـا فـي شـفـتـيـنْ
وعـيـونٍ أسـعـدتْ أحـلامَـهـا
لـذةٌ مـلءُ الـدنـى فـي غمضتيـنْ
وتـغـيـبْـنـا عـن الـكـون مـعـاً
غـيـبـةً مـنـسـوجـةً مـن غيبتين
غَـيْـبَـةً قـد عَـلَّـمَـتْـنَـا أنـنـا
في الهوى روحٌ سرتْ في بدنينْ

❁❁❁

حَـــرَمُ الـحُـبِّ الـذي يجمعنا
لـم نـزلْ حـول حِـمـاهُ حائمينْ
لـم نـقـعْ فـيـه وصـنَّـا ذِمـمـاً
وسـنـبـقـى طـائـفـيـنِ عـاكـفـيـنْ
ولـقـدْ نغفلُ عـن بعضِ التقى
ثُـمَّ نـأوي لـلـهـدى مُـسـتـغـفِـرَيْـنْ
الـشـبـابُ الـغـضُّ فـي جمحتهِ
كـم عـصـرنـا عـوده بـالـراحـتـيـنْ

كم أدَنَّا الدهرَ صبراً في النوى
وجرعنا غُصصاً في عُمُرَيْنْ

هذه الغفلة عن بعض التقى
لصِبانا والهوى إيفاءُ دَيْنْ

# أمي

جبل الأربعين - أريحا، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م

العاطفة بيننا، كانتْ تتجاوز البر والحب؛ فقد كانت مودة في الأعماق الإنسانية، وضرباً من عشق المثل الأعلى في الصبر والإيثار.

... وكُنتُ في (الجبل) أترقب قدومها ولكن هاتفاً قال:

إنها مريضة!

فأسرعتُ فوراً إلى (حلب) لأراها شبحاً ممدداً مصفراً، تستقر البسمة على شفتيه، وقد غادرته الروح، تاركةً إشراقها عليه!.

ألا رحمها الله، وأحسنَ جزاءها، أمي،... نفسٌ مطمئنة رجعتْ إلى ربها، راضيةً مرضية...

أخي، لا تقل رفقاً، فهل يجد الرفقا

فتى شقَّ هولُ الخطبِ مُهْجَتَه شقَّا

ولا تجذبِ الصدر الذي فوقها حنا

ودعني على جثمانها، أبداً، مُلقى

أطوقهُ ما شاء وجدي ولوعتي
وألْثَمُهُ لثماً، وأنشَقُهُ نشقا

أوَسِّدُه زندي، وأدنيه من فمي
وخدي، وأبكيه، وألتزمُ العُنقا

ولو أن نارَ الحُبِّ ذادتْ مَنيَّةً
لَذتُّ الردى عنها، وأحييتها عِشقا

فلا تزجرِ الدمعَ السخيَّ فإنني
يكاد نشيجُ الحزنِ يخنقني خنقا

يَئِن الجوى في أضلعي وحُشاشتي
ويزحمُ أنفاسي ويسبقها سبقا

له زفرة من جذر نفسي تَصَعَّدَتْ
وإن لها في كلِّ أطرافها عُمقا

وهذا وجيبُ القلبِ لو كان واجداً
مسالِكَ بعد الصدر يسلكها طلقا

لطارَ بجسمي في السماواتِ مُصعِداً
وجاوَزَها، والوَجدُ يخفقه خفقا

يُفتشُ في الأرواح، عن روحِ أمهِ
ليبعثها بعثاً، ويخلُقَها خَلْقا

❁❁❁

أخي، كيف لم تُخْبر أخاك بدائها
لِيُفرغَ في إسعاف عِلتها الطوقا
علاجاً، ولو لم يشفها، فهو حَسْبُهُ
أما بَذلَ الجهدَ الجُهادى فما أبقى
وتعلمُ أني أركبُ البرق ساعياً
إليها، فإن لم يعنُ لي، أكُنِ البرقا
وتعلمُ ما في نفسها من محبتي
أما كنتُ أروي، لو حضرتُ لها شوقا
عفا الله، هذي عَبْرة أبَدِيَّةٌ
فلا لا تلمني إن شرِقتُ بها شرقا

❁❁❁

أخي لا تقل بالغتَ! والله إنها
لواعِجُ من روحي إلى مِقولي ترقى
ووالله لولا عزمةٌ عُمْرِيةٌ
من المعدِنِ الأسمى لَعِشْتُ بها أشقى
هي الأمُ، رُكْنٌ قَدَّسَ الله شأوَهُ
وأرسى به في الكونِ رحمته حقا

وشادَ على أقدامه جنة الرضا

وكرمهُ في الخلقِ مذ برأ الخلقا

وأمي لها في ذاتها وصفاتها

سجايا، من الأُمّاتِ، في نظري، أنقى

كأني بها صِيغتْ من البرِّ والتقى

وأنَّ لها في وجهها منهما ألْقا

❁❁❁

لقد أورثتني عن أبي شِيَمَ النهى

فلم أرتكِبْ حوباً ولم أهتضم حقا

وقد غلغلتْ بي من جميل طباعها

حناناً وإيثاراً، ومن ذوقها ذوقا

وقد صَحِبَتْني في سبيلي إلى العلا

ومن خُلُقِي أن لا أسَاقَ لها سَوقا

وقد وجَّهتْ طرفي إلى أرفعِ المنى

فأصبحتُ أبغي فوق ذِرْوتها فوقا

جزى روحَها الرحمنُ أكرمَ ما جزى

به البرَّ والإيثارَ والخُلُقَ الأتقى

وسقَّى الضريحين اللذي فيهما أبي

وأمي، من الرضوانِ أطهرَ ما يُسقى

ولـقّـاهـمـا مـن نـضـرةٍ وسـكـيـنـةٍ

وألقى على نفسيهما خيرما يُلقى

لقدْ عَزَّ هذا الخطبُ حتى إخالُني

رهيناً به، طوعاً، فلنْ أطلُبَ العِتقا

وقد طَوَّفَتْ أصداؤه الأرضَ والسما

وقد بلغَتْ أنباؤه الغربَ والشرقا

ففي كلِّ يومٍ يحملُ (البرق) من أخٍ

تعازيَ، ما فرَّجن عن قلبيَ الرِّبْقا

وفي كلِّ يوم في البريد رسائلٌ

تكفكِفُ دمعاً زاده وَقْعُها دَفقا

وإني لأدرى الناس فيما يقولهُ

ليَ الناس، إيماناً وموعظة صدقا

على أنَّ حِلمَ المرء في فجأةِ الردى

يزوغ، ولكنْ فجأة الخطبِ لا تبقى

يؤوبُ إلى التسليمِ لله ذو الحجا

وإن غدقتْ عيناهُ، في حزنها، غدقا

❁❁❁

أيا أمتا، لا تجزعي، لستُ بالذي

عصا الأمر، في صبر عليك، ولا عقا

تُكَرِّرُ حمدي عنكِ لله في الذي

قضاهُ، دُموعٌ لا تَقَر ولا ترقا

طمأنينة الإيمان لا تذهبُ الجوى

ولكن بها نعنو لمن برأ الخلقا

ويُسْعِدُ نفسي في لظى اليُتمِ أن لي

رضاً منكِ أحيا العمرَ فيه فلا أشقى

وسِرَّاً خفيَّ الكُنهِ يؤنسُ غربتي

وروحاً جنانياً عن الوصفِ قد دقا

وطيفاً بدا في كلِّ أفقٍ رمقته

تمنيتُ لو أُسْكنتُ، حُباً به، الأفقا

وأني بحدسي، شِمتُ مثواكِ سامقا

لدى الله، زاد الله روضته سمقا

وروَّى إلى يوم النشور ترابَها

المعطَّرَ من هتّانِ رحمته وَدْقا

وأني عليمٌ أنه الموتُ، حُكمهُ

من الله، صَدعٌ لا نطيق له رتقا

وأنَّ يقيني أننا كلُنا له

فلله ما استوفى، ولله ما استبقى

❁❁❁

منايا، وأقدارٌ، وسَفْرٌ قوافلٌ

وأرواح خَلْق نحوَ بارئها ترقى

عَجِبتُ لمن لم يستفقْ من شروده

كأن على عينيه من غفلةٍ دِبقا

# غربة روح

مدريد، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م

في (الأندلس)... مجدٌ وأي مجد، ما تزالُ آثاره ماثِلة... تضحكُ وتبكي...

وعدتُ من (قرطبة) و(إشبيلية) و(غرناطة)... إلى (مدريد) تنشج الحيرة في زفراتي، ويكاد طموحي الحيران، يخرجُ بي عن إهابِ الإنسان!!

والجمال... والكبت... والحرمان... بركان

عيونٌ بلا خفر... كأنها خمر من جمر، تشربُكَ... ولا تشربها.!!

عدتُ إلى (مدريد)... إلى غربتي... وحرقتي... ونجواي مع الله...

يا غربة الروح، آفاقاً... وأعماقاً

وحيرةَ القصدِ، في المجهول مُنساقا

ويا أُوار جنانٍ لا قرار له

(مُزَئبَقِ) الميل، إعراضاً وأشواقا

إلى متى تنشج الأحزانُ في عُمْري

وعالمُ الناس حولي عجَّ براقا

كأن (مدريد) غِلّ لجَّ في عنقي

يلفّه، كلما نازعتُهُ ضاقا

إذا مددتُ اتجاهي نحوَ بارقةٍ

مدَّتْ إلي هموم الدهر أعناقا

وليس (مدريدَ) ما أشكوه بل شجن

قد باتَ في خفقاتِ القلب خفاقا

يا قلبُ هل خلتِ الأكوانُ من طربٍ

أم هل عقدتَ مع الأحزانِ ميثاقا

أم إنه كُنه حُر لاهبٌ ظمئٌ

تعيثُ نيرانه بالجسم إحراقا

يرنو طموحي إلى مجدٍ، تناوُلهُ

صعب على غير أمر الله إطلاقا

ويستثيرُ هوى نفسي الجمال وقد

خُلِقتُ للحسن أنّى كانَ ذواقا

ومن تأجج في أعراقِه دمُهُ

يظل في لهبِ الآمال تواقا

وإنني لأبيُّ الذاتِ عن عرَض..

الدنيا، أرى كبرياء المال إملاقا

أعيش في غير جوّي، حائراً بَرماً

مُكبلاً، بقضاء الله مُنساقا

نفسي تثور على نفسي وتسألني

هدىً يفوق سجايا الناس أخلاقا

تريد أن أجعل الآفاق منطلقي

لأبتغي خلفها للمجد آفاقا!

وليس لي حيلة والخلق من حمأٍ

يرمي بدربي أوهاقاً وأوهاقا

هذا لعمري صراع دائبٌ سَمِجٌ

يُبددُ العمر لأواء وإرهاقا

يا ربِّ قد رقَّ طبعي فطرةً ونهىً

لكن جوَّ حياتي قلَّما راقا

حتامَ أحيا وروحي غائمٌ قلقٌ

تُلقي على عزمي الأقدار أغلاقا

ألا تجليتَ يا ربي عليّ بما

يُزيلُ همي ويحبو الروح إشراقا

# عندليب

جدة، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م

أمـا كـانَ ذاك العـندلـيـبُ يـنـامُ عن
حقيقتِه، في صـدركِ الناعم البضِّ
فلـمـا أجـلـتُ الـكـفَّ فـوق جنـاحـه
تـنبّه ثـم اهـتـزَّ فـي غصـنكِ الغضِّ
وصِـــرتُ إذا مـا مـسّ كـفـيَ ريشَـه
تـنـفَّـخ، والـمـنـقـار أومـــأ للعضِّ
فيا لارتعاشٍ قد سرى منه في دمي
ارتعاشٌ، كبعضِ الجمر ينفث في بعض

❁❁❁

هـوايَ؛ وللذكرى وإن أمـعـنَ النوى
وجِـيـبٌ بقلبي خـافـقٌ لاهـبُ الومضِ

معاذ الوفا، أنسى طلائعَ عهدنا
وأنتِ كنُوارٍ تفتحَ في روضي
لقد كنتِ لا تدرينَ معناكِ في الهوى
فلما التقينا، هاجَ نبضُكِ من نبضي
هوايَ؛ فهل نامتْ عيونكِ عن هوى
تناءى؟! وعيني لم تذقْ لذة الغمض!
صبابة أيامِ الصّبا ملء لهفتي
حياتيَ تمضي، وهي في القلبِ لا تمضي

❁❁❁

أحِس التصاقاً بيننا رغم بُعدِنا،
ولكنه كالأفق ذي الطول والعرض:
عِناقٌ، وتقبيل، ومن شفة السما
فناءٌ خياليٌّ على شفةِ الأرضِ!

# قطيرة

باريس، في ٢٤ من جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ (١٩/١٠/١٩٦٥م).

... وفي (باريس) مرة أخرى... وخلال رحلة جهادية أخرى لأداء رسالات مصيرية... كان يعيش في مرارات ومكابدات... وفي قلب اللأواء والضوضاء... كانت له سبحات وتأملات... استعرض حياته.. وقوم ذاته:

إنسان رهيف، في قلب أعاصير... ذرة في كون!.. وقد سخر له (كل ما في الكون)!.. منجم طاقات وقوى... ولكنه يقف منها كالمغلول.. شبه مشلول... وتوجه إلى الله... سلمه أمره.. وشد به أزره... فإذا الضعيف المكابد.. يجاهد ويجاهد... وإذا القعيد.. فعال لما يريد... لما يريد ربه...

أنـا..! أقـول أنـا...! مـاذا أكـون أنـا؟!

قـطـيـرة، طـوّقَـتْـهـا غَـمْـرةُ الـثَّـبـجِ...

يـجـري بـي الـمـوج فـي رَهْـو وفـي صخب

مـداً وجـزراً، فـنـهـج الـمـوج منتهجي

لا... بل أنا قدرة تحيا إرادتها
لولا الإرادة لم أخرج ولم ألج

❁❁❁

فقد تكون الدنا بي -مرة- حلكا
وقد تكون سراجاً جلّ في السُّرُجِ
عمرتها، فهي دوني لا حياة لها
أنا الحياة، أنا تهويمة الوهجِ
وما علي -وقد صورت من حمأ-
إذا ألمت بنفسي فورة الرهجِ
حينا... وحينا... وحسبي الروح قد نفخت
في هيكلي، وحبتني مهجةَ المهجِ
فضمّ قلبي برايا الله قاطبة
ومدّ عقلي السما والأرض بالحججِ
لكنّ عزمي بسرّ الكون مرتهن
فالله يطوي لياليه بمنبَلجِي
وكم سعيت، وأمر الله يُمسكني
وكم وصلت بلا لأي ولا حرجِ

قطيرة أنا، لكني الخِضَمُّ إذا
درجت فيما يريد الله من درجِ
وما البحار.. وهاديها.. وأطلسها
إلا القطيرات قد آلت إلى لججِ
أنا الخليفة، جل الشأن وانطلقت
منه الرسالات تمضي بالهدى وتجيِ
وإنّ لي منذ أن قيل (اهبطوا) نصبا
لا ينتهي، ووغىً في كل منعرجِ
مرزّأ.. صابرٌ.. أمضي على أمل
لا بد أن ينتهي أمري إلى الفرجِ

# وساد من صخر

شاطئ الهرهورة

في منتجع على شاطئ الأطلسي المضطرب.. المنسرب... متعاشقاً مع تشعبات الصخر... كان يقف الشاعر في شمس الشتاء... بين العواطف.. والعواصف... يتأمل.. ويتجمل... موجٌ هادرٌ... وحرٌّ صابر...

مـــوجٌ كـــأنّ الـــبَـــونَ مـــن زحـفـه
أُســـــدٌ أثـــيـــرَتْ، فـلـهـا كَـــرُّ...

تـــطـــارد الـــريـــحُ خُـطـا سَـعـيِـه
فـلـيـلُـه لـيـس لـــه فَـــجْـــرا

يـركـض مـن أقـصـى الـمـدى لاهثا
يـــكـــاد يـــرتـــجّ بـــه الـــبـــحـــرُ

❁❁❁

وقد يراني ناجماً باسما
في عزلتي الحرّى فيغترُّ
يظن أني في طُمأنينةٍ
ألا لقد يبتسمُ الحُرُ...
والهمّ في أعماقه لاعجٌ
وصبره -مهما حلا- مرُّ
يا موج! سَل بحرَك عن بسمتي
وسرِّها... فينجلي السرُّ
هو الرضا؛ فالله قد حفّني
بأنعم ليس لها حصرُ
لكن همَّ الكون في مهجتي
يلوك سرّائي ويجترُّ
وقدري اللأواء لا تنتهي
وقد أهي وينتهي الصبرُ!
ومدد الحُرّ مُروءاته
يُغضي عن اللأي ويفترُّ
وراحة الحر معاناته
يدأب مهما مسّه الضُّرُّ

فما الذي ترجوه يا موجُ من
مكابد أنفاسُه جمرُ
يا موج! لا رملَ على شاطئي
فأنا وأنتَ وِسادُنا الصخرُ

# في دفتر الأزل

شاطئ الهرهورة، في ٥ من ربيع الثاني ١٤٠٩هـ - (١٥/١١/١٩٨٨م).

كَـرِّرْ ضـيـاعَك بـيـن الـعَـذْل والـجـدلِ
واصبر على العُقم في جوٍ من الدَّخَلِ
ولا تـحـاولْ، فإحـيـاء الـسُّـدى عَـبَـثٌ
يـا مـن يـقـوّم مـعـوجـاً بـمـعـتـدلِ؟!
إذا الضنى أزمنت في النفس شِرّتُه
فـلا شـفـاء لـه يُـرجـى مـن الـعـسـلِ
فـالـزمْ مـكـابـدةً تـجـنـي مـثـوبـتـهـا
وعِشْ على الهم بين الوهم والأمـلِ
ودعْ بُـلـهْـنـيـةً، هـيـهـاتَ تـدركـهـا
أو فالتمسها خيالاً في سنا زُحَـلِ
مـرّت وفـرّت هـنـيْـهـات سـعـدتَ بـهـا
وغـاب، بـل ذاب صفو الأنس والـغـزلِ

غفوتَ، والصحو في عينيك شعلتُه
فاستغفر الله عما كان من زللِ
وسلّمِ الأمر للرحمن مُبتدِراً
رضاه، واطمعْ به تسكنْ من الوجلِ

❁❁❁

يا رب، ضعفي عن التقوى شكوتُ ولا
لا عذر لي، حَصِرَتْ بل أبلست عللي
سبيل أمرك فذٌّ لو سلكتُ له
وُسْعي، نجوتُ به من حَيرة السبلِ
ماذا تبقى من العمر الذي تعبتْ
أيامُه، وهي ترقى ذِروة الأجلِ
تُطوى صحائفُها، تمضي دقائقها
لَهثى، وتزفر من كد بلا عملِ!
يا أعين الغيب هل أبصرتِ آخرتي
وشمتِ موعدَها في دفتر الأزلِ؟
وأنتِ، يا يدَ أقداري خذي بيدي
شدّي على أُذني... واجري على عجلِ

حانَ الرحيلُ غداً، أو لا.. فبعد غدٍ

لابدّ.. لابدّ.. هل أعددتُ مرتحلي!

إذا المثولُ دنا، أنّى أكون أنا؟!

ويالهولِ مُثولي غيرَ ممتثلِ..!

ماذا ادخرتُ؟ وماذا أستزيدُ له

وكيف ألقاكَ، يا رباه، وا خجلي!

# في معارج الشعر

شاطئ الهرهورة، في ١٢ من ربيع الثاني ١٤٠٩هـ-(١/١٢/١٩٨٨م).

عرجتُ -وقد أمعنتُ في الغمض- مُصعدا
فأبصر قلبي ما توارى وما بدا
ويمّمَ بي وحيُ من الشعر مُشرقٌ
عوالمَ أنوارٍ سَجُوعٍ لها صدى
سماواتُها معمورةٌ.. ورحابُها
جِنان فساح البوْنِ ليس لها مدى
ينابيعُها من كوثرِ الخلدِ عذبة
معطّرةُ التكوينِ.. فيّاضةُ الجَدا
نَهِلتُ ارتشافاً جرعةً من سُلافها
... المُعَتَّق، فاستشعرتُ نفسي مخلّدا
وغِبتُ.. ولكن في حضورٍ مُعمّقٍ
وأُبْتُ.. ولكن ألْمَعِيّاً مُحمّدا

وحلّقْتُ حُراً.. عابداً متبتّلاً
وقدّستُ.. أواهاً منيباً مُسدّدا
عبوديةٌ لله أعلتْ مراتبي
وصيّرتِ الأكوانَ للحرِّ مَعْبَدا

❁❁❁

مددتُ يَدَيْ وَجْدِ الضراعةِ مُلحفاً
وكُنهيَ يدعو -كُل كُنهي- مُردّدا
مددتُ يَدَيْ وجْدي إلى (منتهى) العلا
وكان اتجاهي (سدرةَ) العزّ والنّدى
وخيّل لي أني لمحتُ غصونَها
تبسَّمَ فيها البرُّ وافترّ مُسعِدا
وقد مال غصنٌ من فروع سُموقها
حنا.. ودنا نحوي، ومدَّ لي اليدا
فكاد صوابي أن يغيبَ تولّهاً...
وهاج وماج الروحُ فيَّ تواجدا
وأوْردَني شعري ووحيُ انطلاقِه
وآفاقِه -من أنعمِ الله- موردا

وغلغلتُ في سرّ الجمال تذوُّقي
وأوسعني ذوقُ الجمال تهجّدا
وخرّت خلايا الشاعرية في سنا
جناني لربي سُجَّداً ثم سُجَّدا

# في جهاد النفس

شاطئ الهرهورة، في ٢٦ من ربيع الثاني ١٤٠٩هـ-(١٩٨٨/١٢/٥م).

أنا في الحُزنِ مذ خُلِقتُ بكياً
فعلى الحزن نبضُ روحي تأسّسْ
في مرايا نفسي همومُ البرايا
تتراءى في لمْع حِسي وتُعكسْ
وأنا في النقاء -رغم ذنوبي
وعُيوبي- أسهو ولا أتدنسْ
لي متابٌ إلى الذي هو أدرى
بيَ مني، فعنه لا أتدلّسْ
غربتي غربةٌ، وصمتي ذكرٌ
وحياتي.. بربّها تتنفّسْ
لا أُسيغ الكلام إلا لماماً
رُبَّ صمتٍ من أنفس القول أنفسْ

# في مدى الخلد

جدة، ليلة الغرة من رمضان ١٤٠٩هـ-(٥/٤/١٩٨٩م).

كـمـا أطْـفِـئـتْ خـلـيـةُ جـسـمٍ
مـن كـيـانـي، زكـتْ بـروحـي خلايا
وسـأبـقـى إلـى الـثـرى أتـدانـى
مُـرْسَـلَ الخطو في طريق المنايا
وسـأمـضـي بـالـروح أسـمـو وأرقـى
ثُـمّ أرقـى... وأسـتـحـثُّ خُـطـايا
فـي دروب الـسـنـا.. وتـعـرج روحـي
بـيَ، حـتـى فـي الـنـور ألـقـى مُـنـايا
فـأحـطّ الـرحـال ثَـمَّ قـريـراً...
فـي مـدى الـخـلـد، ينتهي بي مَـدايا

# كُنْهُ فذٌّ

جدة، في ٢ من رمضان ١٤٠٩هـ-(١٩٨٩/٤/٧م)

لستُ بالهم أحترقْ
بل أُجَلِّي وأنبثقْ
مصعِداً في معارجٍ
كلُّ من أمَّها عشقْ
أنا كنهٌ مميّزٌ...
للجَدا والندى خُلقْ
أنا فذٌّ، فطينتي
بسنا الروح تأتلقْ
إنهُ روحُ خالقٍ
وأنا منه مُنطَلقْ...

# شفاعة الحب

جدة، في ٥ من رمضان ١٤٠٩هـ-(١٠/٤/١٩٨٩م).

نـــــورَ عـــيـــنـــيَّ وقـــلـــبـــي
وهُـــــــدى عـــقـــلـــي ودربـــــي
ورضـــــى نـفـســي وصـــفـــو...
الـــــروح، مـهـمـا اشـتـد كـربـي
أجـهـش الـــوجـــدُ بـأعـمـاقـي
... ونـحـبـي.. طـــال نـحـبـي
غـربـتـي تـحـتـدّ.. تـمـتـدّ
... فـطِـرْ بـــي.. ثـم طـر بـي
لـلـســـمـــاوات... وآنـــسْ
غـربـتـي الـــحـــرَّى بـقـربِ
أدبـــــي يـــا أربـــــي، ســـاء،
... وذنـــبـــي.. زادَ ذنـبـي

فبخمر الحبّ تُسْتقطَر

مِن أعماق صبٍّ

ثملتْ ذاتي.. فناديتُك

ناجيتُك.. دأبي

طَمَعاً بالحُبّ، لا...

شكوى، ولا طائفَ عتْبِ

يا حبيبي... أنا عبدٌ

يا حبيبي أنتَ ربي

أنتَ في خفق جناني

وكياني، ملءُ قلبي

فإذا جاوزتُ حدي

أفلا يشفع حبي؟!

# برقٌ في منام ليلة قدر

جدة، في ليلة ٢٥ من رمضان ١٤٠٩هـ-(١٩٨٩/٤/٣٠م)

بعد آيات بينات، من قرآن فجر... مال رأس الشاعر.. بنعاس مُلِحّ، وتلامعت في رؤى نومه ومضات كالبرق، أيقظته على بيت من الشعر يتردد بين جنانه ولسانه...

وانسابت هذه القصيدة بتلقائية وعفوية.. على السجية...

أبـــرقٌ؟ وكـيـف! ومـا أرعـــدا؟!

أم الـنـور فـي الـبَـون حُـــرّاً بـدا؟

ومـن أي أفْـق؟ تَـرى أم ذُرى؟!

ومـن أي نـبـع أفـاض الـنـدى؟!

تـــراءى.. ولا.. ليس مـن وجـهـة!

فـلا.. لا ثـرى.. لا ذُرى.. لا مدى!

❁❁❁

أمِـنْ غـور قلبـي؟! وأيـن انتهى؟!

وأنّـــى؟! أكـــان لـه مـبـتـدا...؟!

وفـي ليلة الـقـدر.. غـفـواً وصحوا

متى؟ كم.. وكم؟ أزَلاً.. سرمدا؟!

ولـو كـان مـن غـور قلبـي انبـرى

يـعـانـق ومـضَ الـسـنـا الأبـعـدا

لـكـانـت خـلايـاي قـد أشـرقـت

بـأنـواره.. رُكّـعـاً.. سُـجّـدا...

وكـنـت تـغـلـغـلتُ فـي الـعـالـمـيـن..

... ولا بـابَ يـحـجُـبـنـي مُـوصَـدا!!

❁❁❁

وأسْـمِـعـتُ -لا مـن فـم- نـغـمـةً

جِـنـانـيـة.. مـا لـهـا مـن صـدى!

تـزف لـي الـمـجـدَ والـسـعـدَ فـي

تـجـلٍّ... وتـوردنـي الـمـوردا...

إذا كـدتُ أَزْلَـــقُ عـن أَوْجِـــهِ

تـبـدّتْ.. ومـدّت لـجـذبـي يـدا

ولاحَ الجلالُ.. وفاح الجمال

وقد بهرتني الرؤى.. خُرَّدا!

❁❁❁

وأُوقِظتُ.. والنوْر في أعيني

سناً يقتفي حُلميَ المُسْعَدا

ودُرتُ برأسيَ في حيرة

أجوب السماواتِ.. مُسترشدا

وكان الدجى قد مضى وانقضى

ولا نجم ثمَّ به يُهتدى

وقال لي القلب: إني هنا...

لديَّ السنا.. والمنى.. والجَدا

فمِلتُ إلى لانهاياته...

وبادرني خفقُه مُنجدا...

وأَفعَمَ بالذكر كنهي رضاً

وأدنى لمنطلقي الفَرقدا

نضا عن كياني حجابَ الهوى

وعينيَّ غطى.. فلم تشهدا

وبصَّر عقلي بسّر الدُّنا...

وقد صاغها ربُّها معبدا...

وذراتُها.. ذرةً.. ذرةً..

تصلّي... فتابَعها واقتدى

وهام به الوجدُ: غاب (الأنا)

فلا مِن زمان.. ولا مِن مدى!

❁❁❁

وعدتُ رويداً.. رويداً إلى

جذوري... وعايشتُها مُصعدا

ولكنْ بروحيَ شوقي بكى

وذوقي زكا.. وقصيدي شدا...

# مناجاة

باريس، في غرة رمضان ١٣٨٣هـ-(٢٧/ ١ / ١٩٦٢م)

أشرقت في قلبه غرة رمضان... وقد توقف في (باريس) بين مرحلتين من رحلة جهادية... كانت نفسه في حرق وقلق:

فيها من فقد أمه الرؤوم... غصصُ بكاء... ومن أوضاع أمته الأثيرة... هَمٌّ عَياء... ومن (باريس) وأجوائها... إثارة وإغراء...

صلى الفجر.. وقرأ قرآنه... وألمَّ بآيات الرحمة والاستبشار... فانطلقت منه هذه المناجاة... بين دعائه.. ورجائه...

هـاك نفسـي، وكـلَّ أهـواءِ نفسي
وجـوى غُـلـتـي، وتـبـريـحَ بـؤسـي
واصـطـراعَ الـطـموح مـلءَ جناني
واضـطـرابـي مـا بـيـن عـزم ويـأسِ
هـاك ذاتـي، وأنـت بـارئُ ذاتـي
وصـفـاتـي، وأنـتَ مـرهـفُ حِسـي

❁ ❁ ❁

بين جسمي وبين روحي جهاد

أزليُّ الجذور مذ كان جنسي

هاك شجوي وحيرتي وحنيني

وأنينَ الهموم في قلب أنسي

قلبُ أنسي! وأين أنسي هذا؟

إنه الوهمُ في غمار التأسي

وحياتي، يا ربّ، إن حياتي

غربةٌ في غدي ويومي وأمسي

ومرادٌ محلّقٌ في الأعالي

لم يزل نحوَه توجُّهُ رأسي

وفؤاد يؤجّ فيه هواه...

ورؤىً كاليقين تملأ حدسي

في كياني -يا رب- روحي يشكو

قلقَ السعي بين مَهدي ورمسي

أسبغِ الرحمةَ الرؤومَ عليه

وارْعَ عزمي، ولا تكِلْني لنفسي

أنت صيرتَني لقوسك سهماً

كيف أرمي إن لم أُشدَّ بقوس؟

أنــتَ قــدَّرتَ لـي الأمـانـة عـبءاً

فـأعـنّـي وامــدُدْ بـبـأسـكَ بأسـي

واصـطـنـعْ لـلـوجـودِ قـلـبـيَ شمساً

لأنـيـرَ الـوجـودَ مـا دمـتَ شمسي!

# مهاجر

الرباط، ١٣٨٧هـ-١٩٦٦م

نـافـذةٌ كـالـخـيـطِ مـفـتـوحـةٌ
بين جفوني في المدى مُرسلَة
تمتدّ ما ضيّقتُ إغماضتي
إلى رؤى مُعْرَضةٍ مقبلة..!
ونجمةٌ يخطفني ومضُها...
من عالمي إلى دُنى مُغفَلة
كأنني أنسابُ من هيكلي
قلباً شجياً قد جفا موئلَه
أَسيحُ حيرانَ المنى ظامئا
أُغِذ في دائرة مقفلَة
في الغيب.. في الغيهب في التيه..لا
سِربَ ولا دربَ، حزينَ الوله

سَـرى على غير هـدى... طائرٌ

مـهـاجـر لـم يـسـتـبـن مـنـزلَـه

❁❁❁

حـتـى إذا الـفـجـرُ بـدا نـورُه

وغـابـت الـنـجـمـةُ، لا عـن قِلة

أيـقـظـنـي الـبـلـبـل مـن سـهـوتـي

وصـاح بـي ديـكٌ -ومـا أعـقـلـه-:

قـمْ لـصـلاة الـفـجـر واغـنَـم بـها

سـكـينـةَ الـنـفـس وحـسـنَ الصّـلة

إن خُـطـا الأقـــدارِ تـمـضـي إلـى

غـايـاتـهـا قـعـسـاء مـسـتـعـجـلة

# مجنح.. فوق السماء

الرباط، (جناح طب القلب في مستشفى ابن سينا)
في ٧ من جمادى الآخرة ١٣٩٥هـ-(١٩٧٥/٦/١٧م)

في جناح طب القلب... من مستشفى (ابن سينا)... سبحة... ودعاء... لحظات محلقة... بين إغفاءة المرض... وما فوق انتباه البصيرة... والشاعر.. في خضم شتى المشاعر صابر.. حامد.. شاكر... يكابد لأواءه... ويتابع مضاءه...

قلبي.. وما قد بثّ قلبي
في الجَنان.. وفي الكيانْ
مِن وقدةِ الهمّ الكؤودِ
يظلّ يُمعن في الحِرانْ!
مِن وثبة العزم الصَّعود
ومن مُكابدة الزمانْ
مِن غَضبة الحُرّ الصَّمود
وقد رأى حُراً يُهان

من لهفة العطف الودود

من الوفاء.. من الحنانْ

هو في الجلال وفي الجمال

معاً.. وفي قاص ودانْ

كم ذا اشرأبَّ يجاوز...

الآفاق... يسبح في الجِنانْ

في سَرحة الأمل الشَّرود

رحابه في اللامكانْ

قلبي، وبثُّ القلب يعجز

... أنْ يُصورَه البَيان

يعدو المنى... يحدو السنا

فكأنّ قلبيَ فرقدانْ

حتى إذا ما ضاق عنه...

الجسمُ، وانعقد اللسانْ

حلّقتُ... ملءَ سكينتي

وتركتُ للقدر العِنانْ

وسموتُ أدعو مطمئنَّ...

الروح.. مُرتاحَ الجَنانْ

أدعـــــو دعـــــاءَ مُـجـنَّـحٍ

فـــوق الـســـمـاء لـــه يـــدانْ

والـقـلـبُ، وهـــو أبـــو الـقـلـوب

... وكـــلُّ مـا فـي الـكـون فـانْ

أودعـــــتُـــــه ربـــــاً بـــراه

ورُحـــــتُ أغـفـو فـي أمـــانْ

# خلايا تسبح الله

شاطئ الهرهورة، في ٢ من رمضان ١٣٩٨هـ

أُقصّر، يا ربي، وأُذنب مخطئاً
وفي غور ذراتي وذاتي تعبّدُ
فذنبيَ في سطح الإرادة غفلةٌ
وزيغٌ، وعن عزمِ السّداد تردّدُ
ولكنْ خلاياي التي من نمائها
وجوديَ في إصعاده يتجدّدُ
تسبّحُ، لا تنفك، في مَحض طاعة
وتستغفرُ الرحمن دأباً وتحمَدُ
فأحيا، ولو في قلب ذنبيَ خاشعاً
لربّي، أحيا ذكرَه، وأُمجّدُ

# غريب

شاطئ الهرهورة، بين أذان الفجر وصلاته،
في ٢٢ من ربيع الثاني ١٤٠٧هـ-(١٩٨٦/١١/٢٥م)

الله أعلمُ ما يُخبِّئ
في غد للعبد ربُّهْ
قالوا: مَريجُ جدارة!
وجدارةُ الإنسان دأبُهْ
قالوا: مريضٌ مُدْنَفٌ...
أوليس حبَّ الله طِبُّه؟!
قالوا: غريرٌ، حُلْمُه
نـاءٍ، وخلفَ الأفْقِ دربُه
أوَمَا دروْا أنّ المقدّرَ
... كائنٌ، والقربُ قربُه؟!
قالوا: الهمومُ وأدْنَهُ
وهمومُ حرّ النفس عَضْبُه

يـمـضـي... يـمـارس ذاتـه
فـيـهـون بـالـعـزمـات كـربُـهْ
قـالـوا: شـريـدُ الـدار، يحيا
وحـــدَه، وجـفـاه صـحـبُـهْ
لا بـأس، فـلْـيَـجْـفُ الـذي
يـجـفـو، فـإن الله حـسـبُـه
قـالـوا: نَـفَـتْـه الأرضُ من
عشق السما، والذنبُ ذنبُه
لا الـشـرقُ -مَـنْـبِـتُـهُ- له
شـرقٌ، ولـيـس الـغـربَ غـربُـه
لا يـسـتـجـيـبُ لـه انـتـمـاءٌ
كـونـه قـد ضـاق رحـبُـه!
قـصُـرَتْ مـداركُـهـم.. وراء
... الأرض تـربض ثَـمَّ شُـهْـبُـه
يـرقـى الـمـعـارجَ مـن ذراه
... يـسـيـرُ.. والأفـلاكُ ركـبُـهْ
قـالـوا: غـريـبٌ.. بـورك
الـغـربـاءُ، لـلـغـربـاءِ حـبُّـهْ

هـــي غـــربـــةُ الأحـــــــرار، فـي
مـلـكـوتـهـا يـــرتـــاحُ قـلـبُـهْ...

❁❁❁

قـــالـــوا.. وقـــيـــل.. ولا يَـنـي
يـســعـى، وعـنـد الله غـيـبُـهْ
فـــالله أعـــلـــمُ مـــا يـخـبّـئ
فـــي غـــدٍ لـلـعـبـد ربُّـــــهْ!!

# شعري

دمشق، ٧ ربيع الآخر ١٣٦٤هـ

أيها القارئون، رفقاً بشعري
إنّ شعري مشاعرٌ منظومةْ
إنه سبْحةٌ إلى الله عبْرَ النور،
.. في جوٍّ قدسِهِ معصومةْ
إنه أَنّةٌ من الصدر حرّى
وأسىً من حُشاشةٍ مكلومةْ
إنه فطرة إلى المجد ترْنو
وإلى العلم والحِجا، مَنْهومةْ
إنه وثبة إلى كل خير
إنه عزةٌ بطيب الأرومةْ
إنه ثورة على كل بغي
وانتصار لأمة مظلومةْ

إنّــه رجـعـة الـصَّـدى لـنَـشـيـجٍ
ردَّدتْـــــهُ عـدالــة مـهـضـومـةْ

إنـــه آيـــة الـــمـــروءة أذكـتـهـا
.. بـنـفـسـي أبُـــوَّة وأمـومـةْ

إنّـــــه رأفـــــة بـكـل مُـعَـنّـىً
إنّـــه غـايـة الـوفـاء الـمـرومـةْ

إنـه ومـضـة مـن الـذكـريـات الـغُـرِّ
.. تَـجْـلـو عـن الـفـؤاد هـمـومـهْ

إنـه وقـدة الـغـريـزة فـي جسمي،
.. وفـيـضٌ مـن نَـــزْوةٍ مكتومةْ

إنـــه نـشـــوة بـــآيِ جـمـالٍ
فـي السماوات والـدُنى مرقومةْ..

ولُحُونٌ مرموزة من وجيبِ القلبِ
.. أنـشـدْتُـهـا لُـغـىً مـفـهـومـةْ..

لا أراعـــي بـهـا هـيـاكـلَ لـفـظٍ
أو أصـولاً مـفـروضـة مـرسـومـةْ

أيـهـا الـقـارئـون، شـعـري: مـرايـا
لـسـجـايـا، صـغـيـرة وعـظـيـمـةْ

هـو رفـقٌ وشـدّةٌ، وصـلاةٌ
وذنـوبٌ، وخشـيـة وعـزيـمـةْ

هـو حلـمي ويـقـظتـي، هـو لـحـنٌ
صادقٌ، من رُؤى المُنى الموهومةْ

هو روحي، أو بعض إشراق روحي
هـو نفسـي مـجـهـولـةً مـعـلـومـةْ

هـو إطـلالـة مـن الـغـيـبِ حيْـرى
وبـروق الـدجـى تـشـق غـيـومـهْ

هـو سِـرُّ الـحـيـاة لاحَ لِـحَـدْسـي
وضـمـيـري، فـصُـغْـتُـه تَـرْنـيـمـةْ

فـتـغَـنَّـوا بـه كـمـا جـاء، شـعـراً
لـم أنـمِّـقْ ولـم أزَوِّقْ رُسـومـهْ

مـن يشـأ نـقْـدَهُ، فـلا ضَـيْـرَ، لكنْ
هـو قـلبـي، فـمَـنْ يـرى تحطيمه!

# صلاة...

بلودان، ١٣٦٨هـ

كلما أمعن الدجى وتحالكْ
شِمْتُ في غوره الرهيب جَلالكْ
وتراءتْ لعين قلبي برايا
من جمال، آنسْتُ فيها جمالكْ
وترامى لمسمع الروح همسٌ
من شفاه النجوم يتلو الثَّنا لكْ
واعتراني تولُّهٌ وخشوع
واحتواني الشعور أني حِيالكْ
ما تمالكتُ أن يخرّ كِياني
ساجداً واجِداً ومن يتمالك!

# شهود

بيروت، ١٣٦٨هـ

خلِّني أسرحُ في البون المديدِ
خلّني أطلقُ روحي من حدودي
خلِّني أسري بأطواء الليالي
خلني أشتفُّ أضواء الوجودِ
خلِّني أفني هنائي وشقائي
خلني أفضي إلى كون جديدِ
خلني أجتاز آفاق البرايا
خلني أجتاح أبواب الخلودِ
أشرقَ الديَّان في غوْر كياني
خلّني هَيْمَانَ في غيبِ شُهُودي

# هُيام

كراتشي، ١٥ رمضان ١٣٦٩هـ

ترقد الدنيا ويحْويها الظلام
فينام الحسُّ في الناس النيامْ
وعيون الحسن تبقى أبداً
في خلايا الكون يقظى لا تنامْ
لا تراها غيرُ نفسٍ أرِقتْ
من لظى الوجدِ وتبريحِ الغرامْ
سَرَحَتْ تلتمسُ الطبَّ، وفي
بهجةِ الحسنِ شفاءٌ وسلامْ
إنَّ ما في الكون من حسنٍ، صدى
لجمال الله؛ يا طيب الهُيامْ!

# إليَّ... إليَّ

كراتشي، ٢٠ رمضان ١٣٦٩هـ

تضِجُّ برأسي طُيُوفُ العُلى
ويتّقِدُ النور في ناظريّ
وتَهتاجُ حِسي طيوبُ البها
وتُغري الخِلاباتُ جسمي عليّ
فألبَثُ حَيرانَ حَيرَانَ مِن
تَهاتُر هذا وذيَّاكَ فيّ
ويظهرُ بُؤسي، ويُهدَرُ أنسي
وتُصْهَرُ نفسيَ، مِن حيرتيّ
فيا رحمةً وَسِعْتْ كلّ شيّ
إليَّ.. إليَّ.. إليَّ.. إليَّ

# ضراعة ثائر...

كراتشي، في ٨ ذي الحجة ١٣٧٥هـ

كان في كراتشي... واستيقظ بعد منتصف ليلة عرفة، هائج النفس، ثائر الشباب، وكان قد تعرَّض في تلك الأمسية إلى إغراءٍ كثير.

ذكر إقامته على التقوى في باريس، وهو طالب.

وذكر مواقفه في الحج، في مثل هذه الليلة، منذ عام مضى.

وذكر ما تعرّض له قبل ساعات...

وفي غمرة الحيرة، وسُوار النفس، وأوار الظمأ، أنشأ القصيدة التالية.

ولما كاد ينبلج الصباح، هدأتْ نفسه بعض الشيء، وعاد يراود الكرى...

كيف أنجو يا خالقي من شبابٍ
عارمٍ عاصف التوثب ضاري
مستبدٍ بكلِّ ذرَّاتِ جسمي
مستفزٍ كوامن الأوطار

كُلَّما رُمْتُ كبتَه، ثارَ جهْلاً

وتخطى عقلي وأعيا وقاري

فأنا منه، ما كبحتُ هواهُ

في جموح وحدة واستعار

كيف أنْجو، وإنَّه مستقرٌ

في كياني، وفي صميم نجاري

هو من طينَتي التي لَوَّثَتْني

ورمتني فريسةَ الأقدار

إنه رجعة الصدى لفحيحٍ

لاهب الذات غاشمٍ كفّار

قد تحدى أبي الكبيرَ قديماً

فرماه من عالم الأبرار

آه يا ويح مُقلتي، وفؤادي

وإبائي، وعزتي، واصطباري

والليالي الطوال مرّت سُهاداً

وعناداً، ودمعي المدرار

وجهادي في حلكة الليل نفسي

وزيادي، وعزميَ المغوار

وغِلابي ضروبَ كيد صحابي

واعتزازي بدحرهم وانتصاري

وثباتي، وقد ترامى لِداتي

واعتدادي بعفتي، وفخاري

❁❁❁

آه، يا ويْحَ وقفتي في ديارٍ

قدّس الله تربها من ديار

خُضْتُ هوْلَ السماء سعياً إليها

وطويت البحار إثر البحار

وعلوتُ الغيوم في صخب الأنواء،

.. أشري مرَّ العنا بالنضار

فكأني وقد حللتُ رُباها

جوهرٌ خالص من الأوضار

نَقِيتْ من طبيعة التُرب نفسي

حين حلّت في روضة المختار

غمرتني أنوارُهُ فكأنّي

عنصر من عناصر الأنوار

وكـأنّـي والـبـيـت يـشـرق حـولـي

شامخ المجد في سنى الأسحار

ذاب جِرمي في ماء زمزم حتى

خلتني طِرْتُ من خلال إزاري

جاوز الروح بي معالمَ أرضي

فالسماوات والعوالم داري

والمفاهيمُ، في مسارحِ روحي،

والمساحاتُ، غير ذاتِ قرار

فقيامي في الحِجْر، لاحَ سجُوداً

وسجودي، سَبْحٌ مع الأقمار

وانطلاقي أسعى، هدوءٌ مريحٌ

ووقوفي، سياحة في البراري

وضجيج الحجيج حولي، سكونٌ

وبسَمعيَ جأرةُ الأحجار

❁❁❁

آه، يا ويح همّتي وجِلادي

إن نبا بي عن الفلاح اقتداري

أبـيـومٍ فـي مِـثْـلـهِ طـاحَ وزري
أتـــــردَّى مـــجـــدِّداً أوزاري

كيف أنجو يا خالقي من شبابي
وشبابي قد كاد يُدني دماري

أنـت سويتني وألـهـمـتَ نفسي
خطّيتها من التقى والفِجَار

وأنـــا منـهـمـا بـحـرب لظاها
في ضلوعي يشوي وفي أفكاري

لـم أرُمْ قـطُّ أنْ أدَسّـيَ نفسي
كيف أرضى للنَّفسِ ذلَّ الصَّغار!

ولـو أنـي كُفيتُ إغـواءَ عَصْري
وأحـابـيـلَ خـلـقـه الأشـــرار

وحُـبـيـتُ اختـيـار وجْـهَـةِ أمـري
لـتـسـاميـتُ واسـتـقـرَّ قـراري

ولـكـانـت نفسي الشـرودُ تـزكَّتْ
غـيـر أنـــي كـالـعـود فـي تـيّـار

❁❁❁

كيف أنجو يا خالقي كيف أنجو

والمقادير ألزمتْني إساري

فتخيَّر لِمن خلقْتَ سبيلا

ترتضيها، فإنَّ ذاكَ اختياري

إنني نازع إليك بنورٍ

منكَ، للنور في العوالم باري

وأنا مقسمٌ عليك بأسمائكَ،

.. من راحم، ومن جبّار

لا تُفرِّطْ بمن دَعتْكَ خلاياهُ

.. دراكاً في ليله والنهار

❁❁❁

رُبَّ سارٍ والسُحْبُ قد لفَّت النجمَ،

.. فحارَ السّارون عبرَ القفار

سَفَرَ الفجرُ، فاستبان خُطاه،

فرآها اهتدت بلا إبصار

# كفاح

كراتشي، ١٧ رمضان ١٣٧١هـ

حقوق العُلى في جَناني غِضابْ
تـذود رُقـادي بـوخـزِ الـحـرابْ
تُـنـبِّـهُ مـا لـم يـنـمْ قـطّ من
ضميري وتقذفُ بي في الصعابْ
ولستُ أُجانِبُ خوضَ العقاب،
.. وإن هدّ جسمَي خوضُ العقابْ
ولـكـنْ أرانـيَ مـثـلَ الـشـراع
.. الفريد العنيد بقلب العُبابْ
أكـافـح وحـدي كالمستميتِ،
.. وأتـرك لله فصـلَ الـخطابْ

# سبحان ربي الأعلى

كراتشي،٢١ رمضان ١٣٧١هـ

أيُ سـرٍّ يُـودي بـدنيـا حـدودي
كلما هِمتُ في تجلي سجودي
كيف تذرو (سبحان ربي) قيودي
كيف تجتاز بي وراءَ السدودِ
كيف تسمو بفطرتي ووجودي
عن مفاهيم كونيَ المعهودِ
كيف ترقى بطينتي وجمودي
في سماواتٍ عالمٍ من خلودِ
أتُراها روحاً من المعبودِ
قد جَلَتْ ذاتَها لعين شهودي!

# المتقى... والمبتغى

بغداد، ٦ رمضان ١٣٧٢هـ

الـبـاذلـون لـيَ الـوعـود سـخـيـةً
لأكـفَّ عنهم ما شننتُ من الوغى

عجبوا لإعراضي وأوغـر كيدهم
فطغَوا وعزمي يستخف بمن طغى

فلْيترعِ الأكـوابَ رأسُ ضلالهم
مـن سُـمّـه، فبـغـيـره لـن تـفـرغـا

إنـي لأحـقـر وعـدَهـم ووعـيـدهـم
فلقد بلغتُ من المناعة مبلغا

يغري الذي يغري، ويبغي من بغى
واللهُ عندي المُتَّقى والمبتغى

# استغاثة

جدة، شوال ١٣٧٣هـ

لقد ضاق صدري، وصدري رحيب
بِغَيِّ القريب وبَغْيِ الغريبْ
وثار بقلبي أوام الظما
للقيا حبيبٍ، وأين الحبيبْ
تمر ليالي شبابي حيارى
يُنَغِّصهنَّ الخواء الكئيبْ
تضج بعقلي تباريحُه
ويُفني حياتي العناءُ الجديبْ
وفي الروح من وثبات الطموح
.. أوارٌ وفي عزماتي لهيبْ
أضرّتْ بقلبي ضروب الأسى
فغام شبابي ولاح المشيبْ

أُهيبُ بقومي إلى المكرماتِ
وهيهاتَ يسمعني من أهيبْ
تبلّد في الناس حسُّ الكفاح
ومالوا لِكسبٍ وعيش رتيبْ
يكاد يزعزع من همتي
سدور الأمين، وعزم المريبْ
نهاري عناء، وليلي ضنى
وقلبي وجيبٌ، ودمعي سكيبْ
فيا ربِّ أنقذْ فتى عانياً
تضرع في جوف ليل رهيبْ
دعاك إلى كشف ما مسه
من الضر في شَهَقات النحيبْ
وناداك من غور آلامه،
وآماله، وحشاه الحَريبْ
إلهي أغثني، فقد غُمَّ دربي
وأَبْعد قصدي وأنتَ القريبْ
وأنت الرحيم وأنت العظيمُ،
.. وأنت السميع، وأنت المجيبْ

# في قرنايل

قرنايل، ١٧ ربيع الآخر ١٣٧٧هـ

تصوير لإطلالة الفجر، وإشراقة النهار، وتخيلٌ لصراع بين الشمس والوادي، على ابتزاز الروعة والجمال، ساعة الغروب؛ والدهر يشهد هذا الحدث الرتيب.

ثم انتقال إلى آفاق من النجوى والشكوى، والألم والأمل، والعزيمة الحائرة في النفس الثائرة:

بادِرِ الفجر، واشتمِل بإزارهْ
وتمتّعْ بالحُسْنِ في أغْوَارِهْ
ودعِ الهيكل الترابيّ حيناً
واسرِ بالروح في مدى مضمارِهْ
واتجه في كيانك الطلق واسرح
في هَوَاه، وفي رؤى أفكارِهْ
سترى غرّةً ليومٍ جديد
كان في الغيب وانْبَرى من سِتارِهْ

والضياءُ الحيرانُ يضفي عليه
حُلّةً من لُجيْنِهِ وَنُضارِهْ
سترى فيه سِرَّ ربٍ براه
وبِأنْوَارِهِ صَدَى أنْوَارِهْ

❁❁❁

أرْهِفِ الحس واستمِعْ لِنجاوى
.. الفجْر ما بين ديكِهِ وهزارِهْ
وتأمل فيض الجمال على الوادي
.. نضيراً، يَشع في أسحارِهْ
قد تمطى، ومد رجليه، عبر الأفق،
.. في البحر مُبْرِداً من أُوَارِهْ
والرّوابي توكّأت عن يمينٍ
وشِمالٍ، واسْترْسَلَتْ في جِوَارِهْ
وعليها من الصنوبر تاج
ركع الزهر خاشعاً من وقارِهْ
في مثاني سفوحها دُورُ أنْسٍ
أقسم الصيف أن تذود المكارِهْ

تتراءى بيضاء كالدر، زان الرأسَ

.. منها الياقوتُ، عند اعتمارِهْ

ما أحَيْلى الحياة فيها فراراً

ولِواذاً من عيْشِنا وسُعارِهْ

وانطلاقاً مُسَيّبَاً في رحابٍ

من دروب الوادي ومن أوكارِه

يا لطيبِ النسيم هفّ عليلا

يستثيرُ الحَفَيفَ من أشْجارِهْ

ثم يسري في رقة ودلال

مشبعاً بالأريج من أزهارِهْ

❁❁❁

يا لحسنٍ وروعةٍ في دبيب العزم

.. لم يبْقِ ذا حياة بِدَارِهْ

ماج منه الوادي بروح مطلٍ

من كُوى الفجْر، خافقٍ في إطارِهْ

لابسٍ بهجة الصباح، وَوَهْجَ الماس

والدّر، في اتّضاح نهارِهْ

فاتقاد النشاط في ساكنيهِ
كاتّقاد الحياة في أطيارِهْ
ورفيف الفراش والنحل يحكي
دأب النمل جدّ في تسيارِهْ

❁❁❁

ويمر النهار في نصب السّعي
.. ويبدو المساء خلف ستارِهْ
في احمرارٍ، كَخَدٍّ بيضاء رودٍ
حُجِبَتْ بالشُّفُوفِ من جُلَّنارِهْ
وكأني بالشمس غارت من الوادي
.. وقد لاح زاهياً في خِمَارِهْ
ثمّ ألقى عباءة الليل عنهُ
فتبدّى الجمال بعد استِتَارِهْ
ثم أضحى تهتز في جانبيه
خَطَراتُ الحَيَاةِ، رغمَ وَقَارِهْ
ثم أمسى كشاعر شفّهُ الوَجْد،
.. وفاض الحنين من قِيثارِهْ

فتعرّتْ مختالةً وتولّت

تُطفئ الغيظَ في مياه بحارِهْ

وخيوط النّضار من شعرها الوهّاج

.. تُذكي في الأفْقِ شُعلةَ نارِهْ

تتحدى بحسنها كلَّ حسنٍ

وغبيّ يشتط في إنكارِهْ

فيثور الوادي ويزعم أنّ الحُسْنَ

.. ألقى إليه حقّ انحصارِهْ

وإذا الشمس نفثةٌ من لهيب

وشِجار الرفاق جَم المكارهْ

هي نادت لِرِفْدِها وَضَحَ النور

.. فجاء النّهار في أوْزارِهْ

وهو نادى الدجى فهبّ إليه

مُسْتطاراً للحرب في أطْمارِهْ

والثرى والسماء في حيرة الأمر

.. تخافان من ذيول شِجارِهْ

نادتا كامن الغيوم من الأرجاء

.. سِتْراً لخزيِهِ وفِجارِهْ

فـإذا فـي الـسـمـاء والأرضـــ غيم

يغبِش الـجـوّ فـي ظِـلال مَـسَـارِهْ

تـتـراءى خـلالـه وَقـــدَةُ الغيظ

.. ويُـرمـى سـحـابُـه بـشـرارِهْ

ومـرايـا الآفـــاق تـعكس ألـوان

.. صـــراعٍ، مـا بـيـن دامٍ وفـارِهْ

شاقت الدهر فاعتلى الشاهِقَ الجبّار

.. والـهـمُّ نـال مـن إبـصـارِهْ

ومضى يرقب الصراع بعينيْه

.. مُلِحَّاً، حيناً، ومن مِنْظارِهْ

وغُيُوبُ العصور، من عهد إبليس

.. إلى الحشر، لُحْنَ في أنظارِهْ

قد رأينا، وقد رأى، ورأى الناس،

.. وكـل يـرى عـلـى مِـقْـدارِهْ

❁❁❁

وطـــوَتْ فـــوْرَةُ الـصـراع ذُكـاءً،

وتغنّى الـوادي بِـزَهْـو انتصارِهْ

وارتمى متعباً يعُبّ ويُلْقي
نَفَثَاتِ الدخانِ من (سِيكارِهْ)
وتبدى الغمام أشعث يسري
باتّئادٍ إلى دروب مطارِهْ
وعلى وجهه الكئيب ظلال
من صراع النهار قبل فرارِهْ
البياض المُغبر في زُرقة الأفْق
.. ترامى وغاب بين اصفرارِهْ
وسرى من فم الشّعابِ دخان
قاتِمٌ في ائتِلاقِهِ واحْمِرارِهْ

❁❁❁

بيْدَ أنّ الوادي، وقد قُضِيَ الأمر،
.. ولوْثُ الدِّماء في أظفارِهْ
ملأ الحزنُ جَوّهُ فتهاوى
في سريرٍ، يُقِضُّ، مِن أحْجارِهْ
حَشوهُ الشّوْكُ والحصى. وبدا الليل
.. رهيباً، يغوص في أسرارِهْ

وكـــأنّ الـــهـــوَامَّ تَـفـتِـكُ فيه
مُـــزع قـد قُـطِـعْـن مـن فُـجَّـارِهْ

قـلّـب الـفـكـر، والـعـواطـف شتى
فـي حَـشـاهُ، والـغـمُّ فـي أغـــوارِهْ:

إنه منذ كان، يعشق تلك الشمس،
.. فـي وهْـجِـهـا مُـنـى أوْطـــارِهْ

فـي شُـعـاعـاتـهـا الـلّـطـاف نماء
لأزَاهِـــيـــرِه، ونـضـج ثـمـارِهْ

لـوّنـتْـهـا بـالـحُـسْـنِ لـوْنـاً فَـلَـوْنـاً
وحَـبَـتْ غـابَـه بـديـع اخـضـرارِهْ

كيف يحيا من غير شمس، ويرضى
بـانـتِـصـار يُـكِـنُّ ذلَّ انـكـسـارِهْ

إن عُـدوانَـه عـلـى الـخِـدْنِ عـارٌ؛
كيف يحْيا، وكيف يرضى بِعَارِهْ

وانتصار الفتى على الصّحْب بَدْءٌ
لِـتُـردِّيـهِ فـي الأذى وانـدِثـارِهْ

إنّ من يطعنِ الصديق ليقضي
مَـأرَبـاً، لا يـنـال غـيـر انـدِحـارِهْ

غَـــدْرَةُ الـمـرء بـالأحـبّـة خـزيٌ
يتسامى عليه خِـزيُ انـتـحـارِهْ

❁❁❁

وأقام الوادي على السُّهْدِ طول الليل،
.. نـدمـان تـائـبـاً مـن شَـنَـارِهْ
فـأتـاه الـبـشـيـر أنّ ذُكـاءَ
صـفَـحَـتْ عـن ذنـوبِـهِ لادِّكـارِهْ
ستُحيّي رُبَـاهُ فـي نَفَسِ الفجْر
.. وتمضي إلـيـهِ عند افْـتِـرارِهْ

❁❁❁

وأطَلّ الفجْر الجديد على الوادي،
يُسَقِّي الدنيا شـهِـيَّ عُـقَـارِهْ
وتتالت مشاهد الأمس واليوم
.. ودارَتْ مع القَضا في مَـدَارِهْ
تلكمُ قصة الحياة رواهـا الكون
مـنـذ الآبـــادِ، فـي أخـبـارِهْ

ردّدتْ لحنَها الرِّياحُ وأجْرَى
الدّهرُ أصداءها على قيثارِهْ

❁❁❁

إيهِ (قرْنَايلُ) عليكِ سلامٌ
مِن فؤادٍ يذوبُ من تِذكارِهْ
ومُحِبٍ منذ الطفولة يشدو
في رُباكِ الكثيرَ مِن أشْعارِهْ
لم يزل يسْتَمِد بِكْرَ المعاني
من جمال حُبِيتِ من أبْكارِهْ
وفتىً كلما ألحّتْ عليه
شدّة الدّهر فرّ مِن إعصارِهْ
لا فِرار الجبان خوفا، ولكن
يتقوّى على وغى أخطارِهْ
رام في فَيْئِكِ السَّكينةَ حيناً
هل يَفِرُّ الإنسان من أقدارِهْ
يتسلى بطيفِ أنْسٍ شَرُودٍ
يُمْتِعُ النّفْسَ مِن شَمِيم عَرَارِهْ

وحبيب ما زال في الغيبِ يَثْوي
وَوَراء الآفـــاق بُـعـدُ مَـــزَارِهْ

❁❁❁

إيــهِ (قــرْنَــايِــلُ) علـيـكِ سلام
مـن غـريـبٍ مـــرَزَّأٍ فـي ديـــارِهْ
سامَرَ النّجم في الليالي وحيداً
يَـتَـلَـظّـى مـن هـمّـهِ ودُوارِهْ
كـلّـمـا لاحَ فـي سـمـائِـكِ بـدْرٌ
أجَّ فـيـهِ الـهـوى إلـى أقـمـارِهْ
وتـغـنّـى فـي لـوعـةٍ وحـنـيـنٍ
بِـلُـحـون الـمـاضـيـنَ مِـن سُـمَّـارِهْ
بـــاعَـــدَتْ بـيـنَـه وبـيـن ذويـــهِ
قِـسَـمٌ مِـن طـبـاعِـهِـمْ ونِـجـارِهْ
كم قضى بينهم وكم سوف يقضي
مِـن لـيـالٍ كـئـيـبـةٍ، غـيـرَ كـارِهْ
يـتـوانـى عـن بِـرِّهِ أقْـرب الـخـلقِ
.. إلـيـهِ، ولـمْ يَـحِـدْ عـن شـعـارِهْ

يَبذل النفس والنفيسَ وفاءً

ويُضحّي شبابَهُ في اصْطِبارِهْ

تتولّى أيامه في أوَام

وسِواه يعُبُّ من إيثارِهْ

لَيْتَ هذا الزمَانَ سَارَ سَوِيّاً

وتَخلَّى عن جَوْرِهِ وقِمارِهْ

وأقام القسطاس في الناس عدْلا

فأذاق المُغْتَرَّ ويل اغْتِرارِهْ

وحبا راعي المروءات في الجُلَّى

حُساماً يَصُولُ في بَتَّارِهْ

والنفوس المغرِّدات هُيَاماً

مَدَّها باللُّحُون مِن أوتارِهْ

وأتاح المجال للطامح المقدام

يَبْني أمْجادَهُ بِبِدارِهْ

غير أنّ الزمان سار بِنَهجٍ

عَزّ إدراكُنا لِغوْر قرارِهْ

ضَفَرَ الغارَ للجبان، وأقصى

عنْ جبينِ الشُّجاعِ إكْليلَ غَارِهْ

أعْثَرَ الشّهمَ وهو يمضي لخيْرٍ
وأقـالَ الـمَـأفُـونَ سُـوءَ عِـثـارِهْ
حاد بالمُخلِصين عن جَدَدِ المجْدِ
مُـعِـيـنـاً عـلـيـهِ بَـعـضَ شِـــرارِهْ
فتنة تلك في الـورى واختبار
أيـنَ يمْضي زمانُنا في اختِبارِهْ!

❁❁❁

إيـهِ (قـرْنَـايـلُ) هنيئاً لمن أضحى
.. نـسِـيًّـا، أو عـاشَ فـي أذكـــارِهْ
مُـعـرضـاً عـن زمـانِـه وهَـــوَاهُ
يَـتَـلـقّـى ازْوِرَارَهُ بـــــازْوِرَارِهْ
بَـيْـدَ أنّـــي، والـقـلْـبُ حـرٌ أبـيٌّ،
لا يُـبـالـي بِـــزَجْـــرِهِ وانـتِـهـارِهْ
سـوف أمـضـي مـادام فـيَّ ذمَـاءٌ
فـي مـتـاهـاتِـهِ ولُـــجٍّ غِـمَـارِهْ
وسـأبـقـى أجـاهِـدُ الشـرّ عُـمْـري
ولـو انّـي كـالـعُـودِ فـي تَـيَّـارِهْ

قد يموت الإنسان في إصراره
ويَعيشُ الإنسانُ في آثارِهْ

❁❁❁

رُبَّ حُرٍ مُكَبّل اليَد عَانٍ
بَتَّ في عزمِهِ مَريرَ إسَارِهْ
هشَمَ الكفَّ في عِنادٍ مُلِحٍّ
ورَمَى القيْدَ عنهُ في إصرارِهْ
ومضى والإلهُ نُصْبُ مُنَاهُ
يَتَخطّى الرَّدى بِمِلْءِ اختيارِهْ
قهَرَ الصَّعْبَ وانتَضَى العَزمَ حَتّى
أخَذَ المجدَ عَنْوَة باقتِدَارِهْ
كم ينالُ الزمانُ من أحْرارِهْ؟
وفَخَار الزّمانِ في أحرارِهْ!

# في وحدتي...

جبل الأربعين - أريحا، ٢ ذي القعدة ١٣٧٨هـ

في وحدتي؛ والليل داجٍ
.. والسكون له امتدادْ
والذكريات تلوح كسلى
بين أجفان السهادْ
أصداء ماضٍ ما تزال
.. تئنّ في خفق الفؤادْ

❁❁❁

في وحدتي؛ والصمت لفّ
.. الكون في رفقٍ وخَيَّمْ
إلا النسيم فقد سرى
متهادياً، وشدا ورنَّم

فترنح الغصن المطلّ
عليَّ كالشبح الملثّمْ

❁❁❁

في وحدتي؛ والنجم بين
.. الغيم يبسمُ ثم يغرُبْ
وشعاعُه من خلف نافذتي
.. يخالسني ويهربْ
يمضي إلى صُحُف الغمام
.. كأنها نُشرتْ ليكتبْ

❁❁❁

في وحدتي؛ وحبيبتي
أمي التي أهوى هواها
أمي التي آنستها،
وسهرتُ أنهل من رضاها
ذهبتْ تنام لساعةٍ،
والنور يشرق من تقاها

❁❁❁

في وحدتي؛ والنفس مرسَلةُ
.. العِنان على السجيةْ
ألقتْ قناع البشر تستر
.. فيه آلاماً خفيةْ
أمي تنام فما على
جفني إذا أَرِقَ العشيةْ

❁❁❁

في وحدتي؛ والفكر في
الآلام والآمال شاردْ
والهم يمثل حيثما
حوَّلتُ أنظاري كمارد
في أعيني همٌّ يؤج
.. وفي الضلوع الهمّ واقدْ

❁❁❁

في وحدتي؛ والقلب في
خفقاته ظمأٌ وفورةْ

والـــجـــو مـــن أرج الـربـيـع
.. يـثـيـر فـي الأعـمـاق ثـورةْ
وهـــــوايَ مـلـتـبـس الـمـعـالـم
.. مـرسـلٌ فـي الـغـيـب غـورهْ

❁❁❁

فـــي وحـــدتـــي، فـــي غـرفـةٍ
فـــي الـلـيـل تـبـدو نـائـيـةْ
وكـأنـهـا مـن هـامـش الـدنـيـا
.. ثـــوت فـــي هـــاويـــةْ
وعـلـى سـريـر مـن حـديـد
قـــد جـثـا فـــي زاويـــةْ

❁❁❁

فـــي وحـــدتـــي؛ مَـــن يـبـصـرُ
الـجـسـمَ الـمـمـدّد فـي الـسـريـرْ
والـصـدر يـلـهـث دون لأْيٍ
فـي الـشـهـيـقِ وفـي الـزفـيـرْ

تـعَـبُ الـهـمـوم أشـــدّ مـن
تَـعَـبِ الـجـسـومِ عـلـى الـضـمـيرْ

❁❁❁

فـي وحـدتـي؛ فـي غـرفـتـي،
فـي وحـشـةٍ حَـرَّى كـئـيـبـةْ
أرنـــو إلـــى الـمـسـتـقـبـل
الـمـجـهـول، أسـتـجـلـي غـيـوبـهْ
وعـلـى الـجـدار تـرنّ دقـة
.. سـاعـة تـمـشـي رتـيـبـةْ

❁❁❁

فـي وحـدتـي؛ وأنـامـلـي
(بـالـرّاد) تـعـبـث دون غـايـةْ
تـحـبـو بـإبـرتـه رويـداً
.. فـي مـداه إلـى الـنـهـايـةْ
فـتـشـيـح نـفـسـي، وهـي غـيـرى،
.. مـن مـهـاتـرة الـدعـايـهْ

❁❁❁

فـي وحـدتـي؛ وأنـا أحـاول
.. صـيـد لـحـنٍ أشـتـهـيـهِ
مـتـنـقـلاً بـيـن الـبـلاد،
.. أطـيـر مـن تـيـهٍ لـتـيـهِ
سَـدِرَ الـشـعـور، فـمـا يعيه
.. كـأنـه مـا لا يـعـيـهِ

❁❁❁

فـي وحـدتـي؛ وأنـا غـريـق
.. فـي الـلـحـون وفـي الـشـجـونْ
غـاضـتْ حـدودي عـنـدمـا
أسـلـمـتُ لـلـحـلـم الـعـيـونْ
وكـأنـنـي فـي الـلانـهـايـة
.. لـسـتُ أفـقـهُ مـا أكـون

❁❁❁

فـي وحـدتـي؛ وأنـا عـلـى
عـتـبـات نـوم شـبـهِ هـادئْ

لا أستبين حقيقتي
أنا هانئٌ أم غير هانئْ
رعشتْ على خدي تدغدغه
.. مَلامسُ من مفاجئْ

❁❁❁

في وحدتي؛ انتبه الشعور
.. على اختلاجات الحشاشةْ
وتبينتْ عيناي فوق
.. (الراد) في قلق فراشةْ
وإذا العبوس يزول عن
نفسي وتلتمع البشاشةْ

❁❁❁

في وحدتي؛ أبصرتها
تُلقي إلى (الراد) الشفاهْ
وكأنها في نوره الواني
.. ترى درب النجاةْ

أو أنـــهـــا ظـــمـــأى تَـــعُـــبُّ

.. خـــلالـــه راح الـــحـــيـــاةْ

❁❁❁

فـــي وحـــدتـــي؛ لاحـظـتُـهـا

تـصـغـي إلـــى الـلـحـن الـخـفـيـفْ

تـحـبـو عـلـى بـلـورة (الـــراد)

.. الـمـضـيـئـة فـــي رفـيـفْ

تـعـلـو وتـهـبـط وهـــي تـرسـل

.. ثَـــمَّ حِـسّـــاً كـالـحـفـيـفْ

❁❁❁

فـــي وحـــدتـــي؛ شـاهـدتُـهـا

بـيـن ارتـــــدادٍ وانـبـعـاثِ

والـــــلأي يـرهـق صـدرهـا

فـتـظـل تـمـعـن فـي الـلّـهـاثِ

فـسـألـتُـهـا فـي خـاطـري:

مـا تـقـصـديـن أيـــا خَـنَـاثِ

❁❁❁

في وحدتي؛ وكأنها
فهمتْ تساؤل خاطري
فرنتْ إليَّ وأقبلت
لترفَّ قرب محاجري
ولهى تناجيني وأفهمها
.. بوحي الشاعرِ

❁❁❁

في وحدتي؛ عاينتها
وعلى جناحيها غبارْ
في ضوء (رادي) قد أشعَّ
.. كأنما هو من نُضارْ
تركتْ على خدي نُثاراً
.. منه، يا لُطفَ النُثارْ

❁❁❁

في وحدتي؛ و(الراد) أصمتَ
.. والفراشة فوق خدي

أطـفـأتُـه، والـلـيـلُ جـاوزَ
.. شـطـره ولـزمـتُ سـهـدي
والـوجـد أبـهـم واسـتـبـدَّ
.. فـأجّ فـي الأنـفـاس وجـدي

❁❁❁

فـي وحـدتـي؛ ثـار الحـنـيـن
.. يـلـوب فـي أعـمـاق قـلـبـي
يـرجـو لـه سـكـنـاً يـلائـم
.. مـشـربـي ويـنـيـرُ دربـي
ويـكـون رائـد هِـمَّـتـي،
ويـبـثّـنـي حُـبّـاً بـحـبّ

❁❁❁

فـي وحـدتـي؛ حـتـى الـفـراشـةُ
.. خَـلَّـفَـتْ خـدِّي وطـارتْ
ورمـتْ بـهـيـكـلـهـا عـلـى
بـلـور نـافـذتـي ودارتْ

ففتحتها حتى تطيرَ،

.. ولستُ أدري أين صارتْ!

❁❁❁

في وحدتي، عاد العبوس

.. إليَّ وانتكأتْ جراحي

هذي الفراشة قد مضتْ

تسعى مرفرفةَ الجناحِ

سرحتْ كما يهوى الهوى

ولبثتُ مغلولَ السّراحِ

❁❁❁

في وحدتي؛ والروح في

أعماقه نصبٌ وغربةْ

أرسلت نفسي في فجاج

.. الليل، والآفاق رحبةْ

فاستشعرت بالله نفح

.. سكينةٍ في القلب رطبةْ

❁❁❁

في وحدتي؛ ارتوتِ الجوارحُ

.. من ندى تلك السكينةْ

وأحاط بي خدرٌ عجيب

.. الكنهِ لم أعرف معينهْ

وكأنني فوق الغمام

.. أسيح في دنيا أمينةْ

❁❁❁

في وحدتي؛ آمنتُ أنَّ

.. النفس بالحرمان تصفو

فطويتُ أحناءَ الضلوع

.. على جواي ورحتُ أغفو

والحُلم يرقى بي معارجَ

.. كلُّها ذوق ولطف

# عزلة الأحرار...

جبل الأربعين - أريحا، ١٩ محرم ١٣٧٩هـ

قالوا: اعتزلتَ! فقلتُ: صنتُ كرامتي
ولزمتُ في رَهَجِ الزحام إبائي
لاءمت بين تصرفي وسجيتي
وحفظتُ حق الله والعلياءِ
وذخرتُ نفسي للعظائم صابراً
وطويتُ عن ذلِّ الصَّغار ردائي

❁❁❁

قالوا: ألستَ تملّ؟ قلتُ: يَمَلُّ مَنْ
قصُرْتُ أخادعه عن الجوزاءِ
إني لأغمض أعيني ومسامعي
هرباً من الأبهاء والضوضاءِ

وأهيم في جو التوحّد مُصعداً

متنعماً بتنفس الصعداءِ

فأسيح من ملكوت روحي في دنى

لا تنتهي، مبسوطةِ الأرجاءِ

مغمورةٍ بالخير، زاهيةِ السنا،

مأنوسة، خلابةِ الأجواءِ

الحبّ رونقُ زهرِها وأريجُه،

والصفو ظلّ رياضِها الفيحاءِ

وثمارُها الودّ الصُّراح، وجَنْيها

نيْل المنى البسامةِ الغراءِ

أما هناءاتُ الوصال ونشوةُ

اللّقيا فبثّ أثيرها الوضّاءِ

لا أرض فيها، لا ترابَ، ولا خنا،

برئتْ من الشّحناء والبغضاءِ

فجهاتها تبدو سماءً كلّها،

وسماؤها كنهٌ من الأضواءِ

آفاقُها مأمومةٌ، وحدودها

معدومة، والماءُ غير الماءِ

روحٌ، وريـــحـــان، وراحٌ لـــذّةٌ
لا غـول فـيـهـا، مـن سـنـا وسـنـاءِ
سكني الـذي تـأوي إلـيـه جوارحي
فـي كـل نـازلـةٍ، وسـرّ شـفـائـي
مهوى قلوب ذوي القلوب وطبها،
مـسـرى رجـال الله والـشـعـراءِ
وطـن بـنـتهُ لـي الـنـجوم وأبـدعـتْ
فـي صـوغـه مـن عـزةٍ وصـفـاءِ
فأنا الغريب غداة أنـأى عن رُبَى
جـنـاتِـه الـوضـاحـة الـغـنّـاءِ

❁❁❁

قالوا: ومُعترَكُ الجهادِ؟ فقلتُ: هلْ
أضحى الجهاد تهاتفَ الغوغاء؟
وتـهـافـتَ الـمـتـفـرجـيـن، وزيـنـةً،
وتـدافـعـاً فـي الـسّـاح يـوم رخـاءِ!
إن الـجـهـاد حـصـانـة ومـتـانـة،
وصـيـانـةٌ، فـي عـزمـةٍ وإبـاءِ

إن الجهاد أمانة، ورجولة،
ومن الجهاد كياسةُ الحكماءِ
إن الجهاد رياضة تُذكي النهى
ليس الجهادُ مطيةَ الخيلاءِ
والجورَ، والدعوى، ومجداً زائفاً
عَمَهُ النفوسِ رزيّة الأرزاءِ
إن الجهاد تقى القلوب، وعفةُ
المضطر، رغم لجاجةِ الإغراءِ
والعزمُ يومَ البأس يحدوه الحجا،
والبذلُ في البأساء والضراءِ

❁❁❁

قالوا: اعتزلتَ! فقلتُ عزلةَ رابضٍ
متحفّز للوثبةِ الشمّاءِ
إني لأرجو أن أحاولَ صادقاً
في صوغ ذاتي من تقىً ومضاءِ
لأكونَ في الجُلى إذا الداعي دعا
سهماً يصيبُ مقاتل الأعداءِ

وأجـودَ بالنفس الزكية في رضا
ربـي وأُرخِـصَ فـي الإلـه دمائي
فأنال إحدى الحسنيين: كرامةً
بالنصر، أو بمنازل الشهداءِ
مـا عـزلـة الأحـــرار إلا عـزةٌ،
والصبر كلُّ الصبر في اللأواء
وضجيجُ شُذّاذ الحِجا وعجيجُهم
زبـدٌ يـذوب، وجمعهم كغثاءِ
إن التوحد في الرجال إلى مدى
شحذٌ لحدِّ الهمةِ القعساءِ

# نور...

جبل الأربعين - أريحا، ٦ ربيع الأول ١٣٧٩هـ

ماذا على عينيَّ يرعشُ
.. حين أجلس أو أقومْ
أغشتهما من قلبيَ المضنى
.. غِشاوات الهمومْ
فكأن بينهما وبين الكون
.. سداً من غيومْ
أم أنها العبرات أجَّتْ
في تضاعيف الشؤون
تبغي التحدرَ والرجولةُ
.. تحجز الدمع الهتون
فاغرورقتْ وتماسكتْ
ظُللاً تهدهدها الشجونْ

أم تلك مقلة طامح

علِقَتْ بأجواء العلاءْ

صعِدتْ على كتف الدنى

ترنو إلى ملأ السماء

فرأت ينابيع الضياءِ

.. فكحلتها بالضياء

والنور كالظلماء يُعشي،

والهوى يضني ويُسعدْ

والعين مرآة الفؤاد،

وبعض داء القلب يرمدْ

والدهر دولاب العجائب

دائرٌ يدني ويبعِد

الروح أرهقه إسار

الكون، واستشرى عذابهْ

والقلب في غلق الأسى

والوجد، أقلقه شبابهْ

والجسم فيه تمرد الغيَّان

.. ضاق به إهابهْ

يـا ربِّ؛ فـي حَـلَـك الـهـموم

وفـي مـجـاهـدة الـسـريـرةْ

يـا ربِّ؛ فـي إبـهـام دربـي

فـي الـمـتـاهـات الـمـثـيـرةْ

يـا ربِّ هـب لـي مـن لـدنـكَ

.. سـكـيـنـةً وهـدى بـصـيـرةْ

# في أسر الحياة

جبل الأربعين - أريحا، ١٠ ربيع الأول ١٣٧٩هـ

ربـــــاه قـــد ضـــج الألـــــمْ
والـــكـــونُ نـــام ولـــم أنـــمْ
الـــواقـــعُ الـمُـضـنـي الـمـمـضُّ
.. يـجـرّنـي نـحـو الـظُـلَـمْ
ومُـــنـــايَ تـرقـى فـي الـسـمـاء
.. وتـمـتـطـي الـنـجـمَ الأشـــمْ
وعـــوالـــم الـغـيـب الـبـعـيـد
.. تـلـوح كـالـحُـلْـم الأصـــمْ

❁❁❁

أنـــا لـســتُ أدري خـلـف هـذا
.. الـــــدربِ مـــــاذا قـد جـثـمْ

ووراءَ آكـــام الـغـدِ الـمـجـهـول

.. أيَّ أســـــىً ألـــمّ

مـــا (لـــلـــهـــواتـــف) لا تـنـي

يـــا لـيـت قـلـبـي فـي صـمـمْ

فـي الـنـفـس كـم مـن هـاتـفٍ

والأهـــــل كـــم هـتـفـوا وكـــمْ

وأنـــــا رهـــيـــنُ تـــوحّـــدي

أحـــيـــا عـلـى هـــمٍّ وغـــمّ

وغـــــداً أســـيـــرُ إلـيـهـمُ

فـأسـيـر مـن هـــمٍّ لِـهَـمّ

❁❁❁

واللهِ لـــولا اللهُ والـطـبـعُ

.. الـعَـيـوف لـمـا يُـــذمّ

ووجـــائـــبٌ حَـــكَـــمَ الـــزمـــانُ

.. بـهـا، وطـفـلٌ كـالـغـنـمْ

ومُـــــروءة بـدمـي تـجـولُ،

.. وأنَّ هـــذا الـقـلـبَ دَمْ

للزمتُ دارَ توحّدي
حتى أُسَرْبَل بالعدمْ
مُتصبّراً، متربصاً
كالليث يربُض في الأَجَمْ
أو سِحتُ في الدنيا ورُحتُ
.. أجوبُ أفنانَ القِممْ
متأبّطاً كنَف الوجودِ
.. على سَبوحٍ من شممْ
مُتسلّياً بالفرقدين
.. وبالبلادِ وبالأممْ
الكونُ مسرح خاطري
والغيب مُدَّخَرُ الحِكم
فَيدٌ على الجوزاء قد
قبضتْ، ورِجْلٌ في الهرمْ
فلعلّني أنسى الزمانَ،
.. وما ألمَّ، وما دَهَمْ
ولعلني أسلو هوىً
في القلب يعصفُ كالحُممْ

❁❁❁

واللهِ لـولا اللهُ، والـمـوروثُ

.. مـن خَـيـر الـشِّـيـمْ

لَـنَـزَحـتُ عـن دنـيـا قِـوامُ

.. حـيـاتـهـا خـفـر الـذّمـمْ

ودفـعـتُ روحـي فـي الـمـدى

الـنـائـي، وحـطَّـمْـتُ الـصـنـمْ

لـكـنـنـي الـمـأخـوذ فـي

أسـر الـحـيـاة؛ ولا نـدمْ

قـدرٌ تـحـكّـم فـي الـرّقـابِ،

.. وسَـهْـمْ دهـرٍ قـد نـجـمْ

مـاذا يُـفـيـد ذوي الـحِـجـا

نـدمٌ وقـد طُـويَ الـعـلـمْ

جـفّ الـمِـداد، فـلا مِـراء

.. ولا مُـنـى، رُفـع الـقـلـمْ

أمـرُ الإلـهِ وحُـكـمـه

واللهِ أحـكـمُ مَـن حـكـمْ

سـلّـمـتُ لـلـرحـمـن تـسـلـيـمَ

.. الـعـزيـز إذا عَـزمْ

ورضـــيـــتُ حـكـمَ الله فـي

الـــرّوح الـمـضـــرّج بـالألـمْ

# شعاع

كراتشي، ٦ رمضان ١٣٦٩هـ

تـأمّـلـتُ فـي كـنـه هـذا الـوجـودْ
وغُـصـتُ عـلـى كـشـف أسـرارهِ
فـجُـبـتُ الـوِهـادَ وطُـفـت الـنـجـودْ
وجُـلـت بـأجـواء أنـوارهِ
وفـكّـرتُ فـي نـحـسِـه والـسـعـودْ
وفـي خـيِّـريْـه وأشـرارهِ
وإذ كـاد يـعـرو شـعـوري الـجـمـودْ
ويَـثـنـيـه عـن سَـبْـرِ أغـوارهِ
تـلألأ لـي مـن خـفـايـا الـخـلـودْ
شـعـاع؛ فـصِـحـتُ بـإكـبـارهِ

# الجزاء الأوفى

كراتشي، ٧ رمضان ١٣٦٩هـ

غَمرتني نَعماؤه وتبدّتْ
لضميري في قلب أُنسي وبؤسي
وتجلّتْ آلاؤه في حياتي
واطمأنّت في كُنْه عقلي وحسي
أتلقى سرَّاءَه في صباحي
وأوقَّى ضرَّاءه حين أمسي
وأَراني أسمو بسعيِي وَوعيِي
عن جزاءٍ، من مَعْدنِ الأرض، بخسِ
حسبُ نفسي من الجزاء شعوري
أنني في الإله أبذل نفسي

# حب

كراتشي، ٨ رمضان ١٣٦٩هـ

في تناجي القلوب بالحب رَوْحٌ
فيه للروح والحشا خيرُ قوتِ
فيه صفوٌ ونشوةٌ وهناء
وانطلاقٌ من الأسى المكبوتِ
حين تصغي بعض القلوب لبعضٍ
في الحديث النقيِّ أو في السكوتِ
يُشرقُ الله بالصفاء عليها
وينادي أعماقها: هل رضيتِ
في تناجي القلوب بالحب سرٌ
يتسامى بها إلى الملكوت

# جذبة

كراتشي، ١ رمضان ١٣٧١هـ

يا معاني الله في نفسي وروحي وضميري
حلِّقي بي وارتقي فوق سماوات الأثيرِ
أشرقي وهّاجة في غوْر قلبي ووجودي
والبثي وضَّاءة في ليل عمري وأنيري
وتجلَّيْ لجبال الهمِّ تجثو فوق صدري
فلقد أرهق صدريَ حمل همّ مستطيرِ
فـإذا مـا جُـعِـلَـتْ دكـاً أعـينـيـنـي بـعـزمٍ
أنا لا أرغبُ أن أصعق في ساحِ القديرِ
غاية القصد -ومن أقصده ربٌ كبيرٌ-
جذبة تُنعِمُني بالقرب من ربٍّ كبيرِ

# تسليم

كراتشي، ٦ رمضان ١٣٧١هـ

أيـــهـــا الإنـــســـانُ لـــن..
تـــطـــويَ بـــالـــطـــفـــرة بـــونـــا
أنـــتَ تـــســـتـــعـــجـــلُ، والأقـــدار
.. تـــمـــشـــي بـــكَ هـــونـــا
فـــدعِ الأمـــرَ إلـــى ربـــك
.. واطـــلُـــبْ مـــنـــه عَـــونـــا
لا تـــضـــقْ بـــالـــرّيـــثِ ذرعـــاً؛
.. قـــد يـــكـــون الـــرّيـــثُ صـــونـــا
خَـــلِّ تـــدبـــيـــر قـــضـــايـــاك،
.. لـــمـــن دبَّـــرَ كـــونـــا

# الكعبة

مكة المكرمة، ٦ رمضان ١٣٧٣هـ

الكعبةُ الشماءُ، في مذهبي،
قيمتُها ليست بأحجارِها
والقربُ من خالقها ليس في
تشبثِ المرءِ بأستارِها
قدسيةُ الكعبة في جمْعها
أمّتَنا من كلّ أقطارِها
وأنها محورُ أمجادِها
وأنها مصدرُ أنوارِها
وكعبةُ المؤمنِ في قلبه
يطوف أنّى كان في دارِها

# صلة

مكة المكرمة، ٧ رمضان ١٣٧٣هـ

الحجرُ الأسود قبَّلْتُه
بشفَتَي قلبي وكلّي ولهْ
لا لاعتقادي أنه نافعٌ
بل لهُيامي بالذي قبَّلهْ
محمدٌ أطهرُ أنفاسِه
كانت على صفحتِه مُرسلهْ
قبّله، والنور من ثغره
يُشرق آياتِ هُدىً مُنزَلَهْ
قبَّلتُ ما قبّله ثغره الناطِقُ
.. بالوحي؛ ابتغاءَ الصلهْ

# قلب كبير

دمشق، ٨ رمضان ١٣٧٦هـ

إلـهـيَ كـمْـذا اهـتـدتْ مـن عـقـولٍ
بـفـطـرتـهـا، دون بـحـثٍ حـفـيّ
وكـم مـن عـقـولٍ غـذْتـهـا الـعـلـومُ
نـــأتْ عـن هـداهـا، لـسـرٍّ خـفـيّ
وأمـــا أنـــا فـرهـيـن الـحـدود
وخـلـفَ حـــدوديَ مُـسـتَـهـدَفـي
تـحـيّـرتُ بـيـن دروب الـحـيـاة،
ولـــم أدر أيَّ خُـطـاً أقـتـفـي
ومـا أنـا بـالـمـسـتـسـيغِ الـقـعـودَ،
... ولا أنـا بـالـشـارد الـمـسـرفِ
وبـــي ظـمـأ حـائـر، ثـائـرٌ
أروح وأغـــدو ولا أشـتـفـي

إذا عزّ في كونيَ المسعفون،

.. فإنك يا خالقي مُسعفي

فأشرقْ بومضةِ نور على

فؤادي فإني بها مكتفِ

عساها تكونُ سكينةَ عقلي

وسِرَّ الهداية في مصحفي

تُروّي غليلي، وتهدي سبيلي

وتغدو لنفسي الأنيسَ الصّفي

فتُشفى جروحي، وتُسعَدُ روحي

ويتّضِحُ الحقُّ في موقفي

❁❁❁

إلهي ألستَ تَراني جديراً

وقلبي بغيرك لم يهتفِ

وإنك تعلمُ من سر كهني

وغيبيَ، ما أنا لم أعرف

إلهيَ فاقبل لجوئي إليك،

.. وخذ بيدي في حياتي وفي..

إذا كنت جرماً صغيراً صغيراً

فقلبي كبيرٌ كبيرٌ وفي

# حبيبيَ الله

الهرهورة، ليل الجمعة وضحى السبت
١٨-١٩/٤/١٤٠٧هـ، ٢٠-٢١/١٢/١٩٨٦م

قريبٌ قريبٌ والدُّروبُ تطاولتْ
إليكَ، وما للقلب عنكَ محيدُ
قريبٌ كخفقِ النُّورِ في عَيْنِ مُبْصِرٍ
ولكنَّ لَمْسَ النُّورِ عَنْهُ بَعيدُ
قريبٌ مِنَ السرِّ الخفيّ وحَدْسِهِ
قريبٌ مِنَ الكُنْهِ الجليّ وطيدُ
وأقربُ مِنْ حَبْل الوريد كأنّما
ببالغ هذا القُرْبِ أنتَ وريدُ
وإنّكَ نورٌ للسماوات والثّرى
ومِنْ نورِكَ المعطاءِ دُمْتُ أُفيدُ
ففي رئتي مِنْ وَهجِ نورِكَ نَسْمَةٌ
شهيقٌ عميقٌ والزّفيرُ مَديدُ

ونُورُكَ يَسرْي في عظامي وفي دمي

ولحمي، فأرنو...والظلامُ عنيدُ

وأُبصرُ بالقلب المنوَّرِ -مغمضاً-

دُنىً مِنْ سناً، ما الغَمْضُ زادَ تزيدُ

وأُبصرُ بالرُّوح الّتي منكَ نفخها

خفايا البرايا... فالجَنانُ شهيدُ

وألمحُ في أقدارك الغُرِّ سِرَّ ما

جرى وعرا.. ما أشتكي وأُعيدُ

فيدركُ بالتّسليم قلبي صوابَهُ

وأشعرُ أنّي بالشّفاءِ سَعيدُ

وإنّي لأستحيي وعنديَ مِنْ ندىً

ومِن فيض آلاءٍ تزيدُ، رَصيدُ

مِنَ البثّ أستحيي، ومِنْ طَلَبِ الّذي

إليه نزوعُ النّفسِ وهْوَ عديدُ

سأُمْسكُ عن ذكر الّذي منكَ أرتجي

أُريد الّذي يا ربّ أنتَ تريدُ

قريبٌ... قريبٌ والدّروبُ تشعَّبتْ

وحارت..ودارت.. والصّراطُ فريدُ

وإنـــي لأواهُ مـنـيـبٌ بفطرتي
ومــأْرب نفسي، والـغَـرورُ مَـريـدُ

أعيشُ صراع الفُجْرِ بين سجيّتي
ودنـيـايَ، فارحمني فأنتَ مجيدُ

وخُذْ بيدي، واجعل إليكَ تَوَجُّهي
سـويّاً، فقصدُ السالكين حميدُ

وكن في اغترابي المرَّ مؤنسَ وحشتي
فـإنـيَ فـي لـبِّ الـزّحـامِ وحـيـدُ

وقلبي الّذي أحسنتَ تقويمَ خَلْقه
رهـيـفٌ لـهـيـفٌ بـالـجـمـال، وَديـدُ

وأنـتَ الّـذي -مـاذا أقـولُ- فإنّـهُ
(مـقَـامٌ) ولـن يـرقـى إلـيـه نـديـدُ

ويعقد إجلالي هـوايَ ومنطقي
وجـــرأة بـثّـي، بـل أكـاد أمـيـدُ

إلهي.. وجاهي.. واكتناهي.. وبارئي
إلـيـكَ الـتـجـائـي.. والـرّجـاء أكـيـدُ

أقـولُ -على علمٍ بسوءِ تـأدّبـي-:
حـبـيـبـي تَـرَفّـقْ بـي، ولـسـت أزيـدُ

# محال

الرياض ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م

تتسائلين وقد سكنت
إلى الظّلام إلى الظلالْ

والكونُ نامَ ولم تنمْ
في مقلتيكِ رؤى الجمالْ

وجنائُك الحيرانُ يشردُ
في متاهاتِ الخيالْ

أتُراه يدري أنني
يقظى أفكّر بالمُحالْ

أتُراه يذكرني ويسأل
نفسه عين السؤالْ؟

أم أنه لم يعنِهِ
شأني فنام خليّ بالْ؟

لا يا ابنة الآمال إنّي
لم أنم، وسلي اللّيالْ

وسلي وجيبَ القلب
واللهثاتِ ليس لها عِقالْ

والزفرةَ الحرَّى، ودمعي
كيف جالَ وكيف سالْ

أوّاه ما هذا الهوى
المجنون، ما هذا الخبالْ

أنا في الحنين وفي الأنين
أسيرُ في درب الزوالْ

لا يا ابنة الآمال إنّي
نِمت، وانبَتّ المجالْ

لا تسهري بالله في
التفكير فيما لا يُقال

هيا اغمضي العينينِ عن
حالي، فحالي خيرُ حالْ

واستلهمي غدَك الرغيدَ

رؤى الـهـنـاءةِ والـــدّلالْ

حَـسْـبُ الـمـرؤة أن أعـفّ
وأن أقـــولَ ولا يُـقـالْ

صـون الـهـوى خُـلُـقُ الـرّجـولـة
والـتـصـبّـر لـلـرجـالْ

أُبـــدي الـقـلـى ضـنّـاً بـهـا
وأنـــا مُـحـبٌّ غـيـر قـالْ

يـــا ربّ هـــذا قـلـبُـهـا
مـــال الـشـبـابُ بـه فـمـالْ

فـــارْعَ الـجـمـال الـغـضَّ واحْـبُ
حـيـاتَـهـا حُـسْـن الـمـآلْ

# في قلب القلب...

الهرهورة، في ١٥ من شوال ١٤١١هـ-١٩٩١/٤/٣٠م

صـــدري أشـــقُّ وفـــي حشـاهُ
أُحِـــــلُّ عـاشـقـتـي الـحـبـيـبـة
حـتّـــى تـكـــون بـقـلـب قـلـبـي
كـــي تُـــلـــحّـــنَ لـــي وجـيـبـهْ
ويـــلـــفُّ ذاتـــيـــنـــا الـتـنـاغـمُ
فـــي عـوالـمـه الـعـجـيـبـةْ...
وتـكـونـنـــي.. وأكـــونـــهـــا...
ونـعـيـش نـشـوتـنـا الـغـريـبـةْ
فـــي جـنّـــة الأشـــــواق والإشـــ
ـــــراق والـــنّـــعَـــمِ الـرحـيـبـةْ

# راحُ الجِنان...

الهرهورة، ليل ٢١ من شوال ١٤١١هـ-٦/٥/١٩٩١م

أهْفو إليكِ وغربتي تتفطّرُ
وأعود أقرأ ما كتبتِ وأسْهَرُ

أنا والخيال.. وخلوة روحية
أتلو بها ما لم تَقُلْهُ الأسْطُرُ

وأكاد ارتشف المداد تَذوُّقاً
وكأنَّه راحُ الجِنان فأسْكَرُ

واللهِ لولا شِيمةٌ (عُمَرِيّةٌ)
ومروءةٌ مِلْءَ الصّبابةِ تَزفِرُ

وتُقىً أكابدُ كي أؤدي حقَّها
ما كان قلبي عن عناقكِ يَصبرُ

# في ليل الوحدة.. وارتقاب الفجر

الهرهورة، على ضوء المدفأة، ليل الخميس في ١٤٠٧/٤/٣م - ١٩٨٦/١٢/٥م

أوقَدْتُ مِدْفأتي، وغُصتُ
بمقعدي، واللّيلُ ساجْ

وسَرَحتُ بالطّرفِ الكليل
أحلُّ عن بصري الرّتاجْ

وأغيبُ.. ثُمّ أغيبُ..
أجتازُ الحديقةَ والسّياجْ

تسهو بنظرتيَ الرؤى في
الأفْقِ، مِنْ خَلْفِ الزّجاجْ

رسمتْ مرايا الليلِ في
الجَنَباتِ منهُ وفي الفجاجْ

صوراً وأَخْيلةً لأضواءٍ
تَلَبَّسها عَجَاجْ

❁❁❁

وشَـــرَدْتُ مِـن طـوقِ الـمكـانِ..
مـــن الـــزّمـــانِ بـــلا انـتـهـاجْ

وحـــــدي، وقـــد أطـــفـــأتُ
مـصـبـاحـي فـمـدفـأتـي ســراجْ

وأخـــــذتُ أحـــيـــا غـربـتـي..
أنـــا والـــخـــواطـــر فـــي تـنـاجْ

وأكـــادُ أســمــعُ خَـفْـق قـلـبـي،
بـالـهـمـوم لَـــهُ اخـتـلاجْ

والـصَّـــمْـتُ يـغـمـرُ وحـدتـي
إلاّ إذا مـــا الـبَـحـرُ هـــاجْ

فـــأمـــوج فـــي أهـــبـــي
كـأنّـي بَـعـضُ مَـــوْجٍ فـيـه مـاجْ

وبـحـلـقـي الـصّـــادي، لـريـقـي
الـــمُـــرِّ بـالـدّمْـعِ امـتـزاجْ

مـــا حـيـلـتـي فـــي أمّـــةٍ
لا يـسـتـقـيمُ لـهـا اعـوجـاج؟!

العصبةُ الأخيارُ منها
في متاهاتِ الحِجاجْ؟!

❁❁❁

كَفَّ اللّهيبُ، وَشَدقُ
مِدفأتي لَوهج الجمر لاجْ

وغُرَيْفَتي خَرْساءُ خاويةٌ
... وفيها الجوُّ داجْ

في جَوْفها بَرْدُ الشتاءِ
وفي نوافِذها ارتجاجْ

ضاقَتْ وضِقتُ بها
وأعياني من الهمّ اللّجاجْ

فجمعتُ أطرافي إلى
صدري وفي صدري اعتلاجْ

وشَدَدْتُها مُتَحَفّزاً
ونهضت ألتَمِسُ العلاجْ

وَذَكَرْتُ ربي واستغثتُ
مُسَلّماً تسليمَ راجْ

وذَكَـــرْتُ (كَـــوثَـــرَهُ) الـــفُـــرَاتَ
ومـــاءنـــا الـــمِـــلْـــحَ الأجـــاجْ

وَذَكَـــــــــرْتُ جَـــنَّـــتَـــهُ،
كـــأنّ بـمـسـمـعـي مـنـهـا ثُـــؤاجْ

وذَكَـــــرْتُ رَحْـــمَـــتَـــهُ.. فـفـاضَ
الـضِّـيـقُ وانـشَـــرَحَ الـمِـــزاجْ

واشـــتَـــدَّ حُـــسْـــنُ الـــظَّـــنِ فـي
حَـــدْســـي بـــخـــلاّقـــي وراجْ

بَـــرَقَ الـيـقـيـنُ بـفِـقْـهِ قَـلْـبـي:
... أَنَـــنـــي لاشـــكَّ نـــاجْ

وصـحـا عـلـى شَـفَـتـي الـدُّعـاءُ،
فَـصـحْـتُ حـيَّ عـلـى انـفـراجْ

هـا قـد مـضـى الـلّـيـلُ الـمَـديـدُ
فـلا مـنَـاصَ مِـــنِ انـبـلاجْ

وشَـــعَـــرْتُ فـي أغـــوار كُـنْـهـي
... بـــارتـــيـــاحٍ وابـــتـــهـــاجْ

# دعاء المسلم

فجِّر اللهمَّ في عزْميَ من نورك نورا
واصطنعني لغد الإنسان في الآفاق صورا
تثب الدعوة من شدقيه بعثاً ونشورا
كانطلاق الفجر بعد الليل إشراقاً طهورا
حاكماً عَدْلاً بهدي الله صبّاراً شكورا
أنا يا اللهُ من روحك روحٌ لن يحورا
فأنا للحقّ كالبُرهان لا يترك زورا
وعلى الباطل كالبركانِ ويلاً وثُبورا
أنا نسرٌ في السماوات العُلا أَمَّ النسورا
أنا معنىً في كتاب الكون قد زان السُّطورا
أنا قلبٌ خافقٌ أيقظ في الناس الشعورا
أنا قرآنُك فانشر صُحُفي أهدِ العصورا
أنا أمرٌ لك إن تُصدِرْه ذللتُ الأمورا
أنا جنديُّك فابعثني لأقتادَ الدهورا

وأقمْ حوليَ من سرّ مقاديرك سُورا
إن دولاب الهدى في الكون دوني لن يدورا

# من طفولة السبعين

شاطئ الهرهورة، في ١٤ من ذي الحجة ١٤١١هـ-٢٧/٦/١٩٩١م

وافـــى كـــتـــابُـــكِ بـعـد دَهْـــرِ
مـــن لَـهـفـتـي ونـفـادِ صـبـري
فـهـفـتْ إلـــيـــه جـــوارحـــي
والـقـلـب هـــاج وشـــقّ صـدري
وتـــدافـــعـــت خـفـقـاتُـه
وكـأنّـهـا وَهَـــجـــات جـمْـرِ
طـــفـــرتْ.. وفـــــرّتْ.. إنـمـا
مـــن أســـرهـا فـــرّتْ لأســـرِ
فـمـن الـضـلـوع إلـــى الـسـطـور
حـــروفُـــهـــا نـمـشـــاتُ زهْـــرِ

❁❁❁

وافـــى فـأســعـد مـهـجـتـي

وأراح مـــن قـلـقٍ ووِقـــرِ

فـسـلـلـت نـفـسـي مـن شـجـونـي

وانـصـــرفـت إلـيـــه أجـــري

أدنـــيـــتـــه مـــن مُـقـلـتـي

وعـلـيـه قـد أحـنـيـت ظـهـري

وفـضَـضْـتـه مـسـتـعـجـلاً

وشـمـمـتُ مـنـه أريـــجَ عـطـرِ

وأخـــذتُ أنـظـر فـي صـحـائـفـه

حـــفـــيّـــاً مـــــلءَ فـكـري

شـربـتْـه عـيـنـاي الـعـطـاشُ

وغُـصـــتُ فـي وَرَقٍ وحِـبـرِ

وشـــردتُ فـي صـفـحـاتـه الـغـنّاءِ

مـــن بِـيـــضٍ وخُـضـــرِ

وطـــربـــتُ بـــالأدب الـرفـيـعِ

ســكـرتُ مـنـه بـغـيـرِ خـمـرِ

ثـــم انـهـمـكـتُ مـتـابـعـاً

نـجـواه مـــن ســطـرٍ لـسـطـرِ

فتدفق الشوق الحبيس

كأنه طُوفان نَهْرِ

وقرأت فيه من الأسى

والحبّ ما يفري ويُغري

شعراً يفيض مشاعراً

من غير قافية وبحرِ

ولمست في سرّ الكلام

هوىً يعبّر فوق جهرِ

وفهمتْ دعوة مستهامٍ

يستفزّ وقار عُمري

ليشدّني جذباً إليه..

إلى صباه.. وليس يدري:

أني أغالب صبوتي

لأصونَه من مسّ ضُرّي

ولو اكتويتُ من الجوى

فوق النوى بسعير هَجْرِ

فمروءة الصدّيق في الـ

ـحب النبيل تشدُّ أزري

لأظـــلَ ثـبْـتـاً فـي مـكـابـدتـي
ومـــهـــمـــا زاد عـــســـري

❁❁❁

يـــا بـــنـــتَ عـشـريـن الـشـبـاب
تـــدبـــري بـــالـــعـــقـــل أمـــري
إنـــي أُجـــلُّ ولا أُحِـــلُّ..
هـــواكِ والإســـلامُ إصـــري
ديـــنـــي وإيـــمـــانـــي وأخـــ
ـــلاقـــي وإيـــثـــاري وطـهـري
ســـبـعـون أعـــوامـــي وفـيـ
ـض كـؤوسـهـا حُـلـوي ومُـرّي
عـانـيـت مـا عـانـيـت واســ
ـتـنـفـدت فـيـهـا جُـلّ يـسـري
وثُـمـالـتـي بـقـيـتْ هـمـومـاً
كـالـلّـظـى فـي نـفـس حُـرّ
مـــاذا بـوسـعـي أن أُفـيـد
حـبـيـبـتـي وأنـــا بـعـبـري؟

أنـــا لســـت أرضـــى أن تكوني

فـــي غـــدّ خـنـســـاء (صـــخـــر)

أنـــا لســـت بـــالـــنّـــهـــاب والـــ

ـكسّـــاب.. لا.. فـغـنـاي فـقـري

وقـــنـــاعـــتـــي كـــنـــزي وعـــا

فـيـتـي.. وفـضـل الله ذخـري

وســـمـــوُّ نـفـســي عـــن دنـايـا

الـعـابـثـيـن سَـنـام قَـــدْري

والـعـدل والإحـســان نـامـوسـي

وذَوْب الـقـلـبِ شِـعـري

ولـــتـــد أبـــــــثُّ خـلالـه

نـبـضـاتِ وجـدانـي وفـكـري

وبـــه أُعـــبّـــر بـيـن تـلـمـيـحٍ

وتـــصـــريـــحٍ وســـتـــرِ

عـمـا يـخـالـجـنـي ويُـحْـ

ـــرجُ مـنـه أو يـأبـاه نـثـري

بـشـــريّـــتـــي لابـــــدّ أن

تـرنـو إلـــى نـهـدٍ وخـصـر

ويـــــؤجّ فـــي شـــفـتـيّ تـوق

لارتـــشـــافِ سُـــلاف ثـغـرِ

وأغـضّ مـن بـصـري.. وفـي

بصري الـهـوى .. وهـواي عـذري

هـــذا أنـــا يـــا بـــنـــتَ عـشـ

ـرين الـصّـبـا.. يـا أخـــتَ بـدرِ

شـــيـــخٌ.. ومـــنـــذ طـفـولـتـي

شـيـخٌ.. وطـفـلٌ مـدّ عـمـري

فـتـخـلّـصـي مـــنّـــي بـحـ

ـقّ الـحـبّ والـتـزمـي الـتـحـرّي

عـمّـن يـلـيـق بـكـنـهـك الـ

ـسـامـي فـبـرُّ صِـبـاكِ بِـرّي

حـسـبـي بـنـوتُـكِ الـحـنـ

ـونُ تـشـعّ مـن مِـصْـرٍ لمصرِ

تـأسـى عـلـى جـرحـي وتـؤ

نـس غُـربـتـي وتُـقـرُّ عـذري

وتـضـوّء الـظـلـمـات.. تـر

عـانـي.. تـكـون خـيـوط فـجـري

❁❁❁

صـــبـــراً.. وأجـــر الـصـبـر عنـ

ـــد الله يـــرجـــح أيّ أجـــرِ

إنـــــي ســـــأذكـــر مـــا حـيـيـ

ـــتُ ودادنـــــا بـــأعـــزّ ذكـــرِ

وســـأســـتـــقـــرُّ عـلـى الـوفـا

ء ومـــا أنـــا بـالـمـســتـقـرِّ

أبـقـــى أبـــــاً.. وأخـــــاً.. وخـ

ـلاً مخلصاً.. (عشراً بعشرِ)!

# في امتزاج العيون

الهرهورة، قبل ظهر الجمعة في ٧ المحرم ١٤١٢هـ-١٩/٧/١٩٩١م

صوني عيونك من دمعٍ ومن أرقِ
يا حبّة القلب قد أججت بي حُرَقي

يُقصي النوى بيننا بثَّ الهوى فإذا
ما اشتدّ شوقي ولاب الوجد في الورق

أعود للأسطر الخضراء أمشج ما
فيها بما في خيالي من رؤاي بقي

فأقرأ الدمع بل أرنو إليه وقد
مزْجتِه بزفير الحزن والومقِ

وقد أحس به في لوعةٍ وجوىً
رغم المسافات مُنْهَلاً على حَدَقي

كأنّ عينيّ في عينيكِ أُغرقتا
مزجاً ووهجاً كمسرى النور في الشفقِ

# أحلام خضراء

الهرهورة، في ١٤١١/١٢/١٣هـ-١٩٩١/٦/٢٦م

أعيديني إلى خُضْر السنينِ
بخضرِ سطور بثّك والحنينِ
وردّيني من السبعينَ عاماً
صبرتُ بها على الهمِّ الخشينِ
إلى وجد الصبا لنعيش جنباً
إلى جنبٍ وفي غَزَلٍ ولينِ
هي الأحلام يا راحي وروحي
قد ائتلقتْ على الدمع السخينِ
ألا قسماً بطهر الحب بيني
وبينك لست بالفدْمِ الأفينِ
لاقتنصَ الظروفَ لحظّ نفسي
وأعبثَ بالقلوب.. ألا افهميني

ولا أنا بالبليد الحسّ حتى
أُشيحَ عن الهوى الحرّ الرّزينِ
ولكنّي أكاد أذوب شوقاً
إليكِ.. كما أُمحِّصُ أمر ديني
فيتضح السّدادُ لفقه قلبي
وأقطع كل شكٍّ باليقينِ
وأجزم أن خوف الله يدعو
هوايَ إلى هدى البرّ الأمينِ
أداور في الخطابِ ولا أماري
ولا أصغي إلى (جيم وسين)
واصمُتُ والمشاعر في جَناني
وإشراقُ السجود على جبيني
أفرُّ بوجدك اللهفانِ منّي
ومن كُرَبي إلى حِصنٍ حَصينِ
إلى قَدَرٍ تجود به الليالي
عليكِ سعادةً.. مدَّ السنينِ
وما صمتي ازورارٌ أو فرارٌ
ولكنْ حكمةُ الصّمت المبينِ

# فهرس المحتويات

تمهيد ..... ٥
مقدمة: سياحة في عوالم عمر بهاء الدين الأميري ..... ٩
اتئد يا إمام ..... ١٩
في الروضة الغراء ..... ٢١
سجدة روح ..... ٢٣
نجاوى سجينة ..... ٢٦
الفجر الولود ..... ٢٨
في محراب الرسول ﷺ ..... ٣٣
في حضرة المصطفى ﷺ ..... ٣٥
نفحة سجود ..... ٣٨
في ضمير البحر ..... ٤١
أحلام نور وحضور ..... ٤٥
في زحام المقام ..... ٥٠
الهزيمة والفجر ..... ٥٣

أشواق وإشراق ..... ٥٨
مجروح الصلاة ..... ٦١
ولدي... ..... ٦٥
عفو الأبد.. ..... ٦٧
على شبك العينين..... ٧١
مع الفجر ..... ٧٤
شعور ..... ٧٥
أب ..... ٧٩
شكاة ..... ٨٣
كرامة ..... ٩٥
قضاء..... ١٠٨
غيث في آب..... ١١١
هاتف..... ١١٨
غفوة صاحية ..... ١٢١
مارد..... ١٢٤
في البكور..... ١٢٧
شبح الخريف..... ١٣١
ضمير..... ١٤١

حَرَم الحب ..... ١٤٦
أمي ..... ١٥٣
غربة روح ..... ١٦٠
عندليب ..... ١٦٣
قطيرة ..... ١٦٥
وساد من صخر ..... ١٦٨
في دفتر الأزل ..... ١٧١
في معارج الشعر ..... ١٧٤
في جهاد النفس ..... ١٧٧
في مدى الخلد ..... ١٧٨
كُنْهُ فذٌّ ..... ١٧٩
شفاعة الحب ..... ١٨٠
برقٌ في منام ليلة قدر ..... ١٨٢
مناجاة ..... ١٨٦
مهاجر ..... ١٨٩
مجنح.. فوق السماء ..... ١٩١
خلايا تسبح الله ..... ١٩٤
غريب ..... ١٩٥

شعري ..... ١٩٨
صلاة... ..... ٢٠١
شهود ..... ٢٠٢
هُيام..... ٢٠٣
إليَّ... إليَّ..... ٢٠٤
ضراعة ثائر... ..... ٢٠٥
كفاح ..... ٢١١
سبحان ربي الأعلى..... ٢١٢
المتقى... والمبتغى ..... ٢١٣
استغاثة ..... ٢١٤
في قرنايل ..... ٢١٦
في وحدتي... ..... ٢٣٠
عزلة الأحرار..... ٢٤٢
نور..... ٢٤٧
في أسر الحياة..... ٢٥٠
شعاع..... ٢٥٥
الجزاء الأوفى ..... ٢٥٦
حب ..... ٢٥٧

جذبة ..... ٢٥٨
تسليم ..... ٢٥٩
الكعبة ..... ٢٦٠
صلة ..... ٢٦١
قلب كبير ..... ٢٦٢
حبيبيَ الله ..... ٢٦٥
محال ..... ٢٦٨
في قلب القلب... ..... ٢٧١
راحُ الجِنان... ..... ٢٧٢
في ليل الوحدة.. وارتقاب الفجر ..... ٢٧٣
دعاء المسلم ..... ٢٧٧
من طفولة السبعين ..... ٢٧٩
في امتزاج العيون ..... ٢٨٦
أحلام خضراء ..... ٢٨٧
فهرس المحتويات ..... ٢٨٩